الفصل الثالث

الأقبـــاط فى المهجر

obeikandl.com

obeikandl.com

الأقبـاط فى المهجـر

قلت لقداسة البابا شنودة بعد رحلة طويلة بدأها بزيارة بريطانيا ؛ ثم زار بعدها أمريكا وقضى فيها أسبوعين :

هذه هى الرحلة الثانية إلى أمريكا هذا العام .. والبعض من الأقباط يتساءلون لماذا يسافر البابا كثيرا إلى أمريكا .. حتى أن أحدهم كتب يقول هل أصبح البابا شنودة بابا الإسكندرية وأمريكا ؟

وقال لى البابا بهدوئه المعهود :

– الكلام سهل .. والعمل صعب جدًا .. لو أنى لا أسافر فسوف يقول البعض لماذا يهمل البابا رعاية أبنائه الأقباط فى المهجر ؟ .. ولو سافرت فسيقول البعض لماذا يسافر كثيرا ولم يسبق فى تاريخ الكنيسة أن سافر البابا إلى كل أنحاء العالم تقريبا مثلما فعلت ؟ .. وهؤلاء لا يعرفون أن الدنيا تغيرت .. والمصريون تغيروا .. وسأقول لك الموضوع بالتفصيل ومن البداية .

وبدأ البابا شنودة يشرح لى بالتفصيل .. قال :

عندما بدأت هجرة المصريين إلى أمريكا تزداد فى الستينيات ، كان طبيعيا أن يكون من بينهم أقباط ، وكان طبيعيا أيضا أن يفكروا فى إنشاء كنيسة لهم ليحافظوا على مذهبهم الأرثوذكسى حيث لاتوجد كنائس أرثوذكسية فى أمريكا .. وكانت أول كنيسة تأسست فى الولايات المتحدة هى كنيسة مار مرقس فى جرسى سيتى بولاية نيوجرسى الملاصقة لنيويورك ، وكان ذلك

فى عام ١٩٦٤ ، وفى هذا العام كوّن الأقباط فى هذه المدينة جمعية أسموها « الجمعية القبطية » ، وكان يذهب إليهم كاهن مصرى كل شهرين ليرعاهم ولإقامة الصلوات ، وهذا الكاهن نفسه كان يرعى أقباط كندا أيضا . وفى عام ١٩٦٨ سجلت ثانى كنيسة قبطية للمصريين فى نيويورك ، وفى سنة ١٩٧٠ أنشئت كنيسة فى نيويورك .. وهذا كل ماجرى إلى أن توليت فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٧١ فبدأت فى العمل على مد رعاية الكنيسة المصرية إلى كل المصريين المقيمين فى الخارج سواء فى أمريكا ، أو دول اوروبا وأسيا وأفريقيا .. وسرت فى هذا شوطًا بعيدًا سأحكى لك عنه فيما بعد .. لكى يبقى الحديث الآن محصورا عن أمريكا .. فى سنة ١٩٧٥ بدأت خدمة كنيسة فى كليفلاند بولاية أوهايو وزرتها فى مايو ١٩٧٧ وتضم قاعة ومسرحا وفصولا للتربية الكنسية ومسكنا للكاهن ، وتقع على مساحة ثلاثة فدادين .. ثم بدأت كنيستين فى مدينتى كولمبس ودايتون بولاية أوهايو ، وكنيسة فى شيكاغو بدأت خدمتها سنة ١٩٧٥ وزرتها عام ١٩٧٧ وعينت لها أحد القسس ، وبعد ذلك أنشئت كنيسة ثانية فى شيكاغو بدأت فى ٨٦ ، وفى عام ١٩٨٩ أنشئت كنيسة ثالثة فى شيكاغو ، وبعدها أنشئت كنيسة فى كانساس ، ثم فى ديترويت عام ١٩٧٩ وزرتها عام ١٩٩٤ ، ثم كنيسة فى مدينة مينا بوليس بولاية مينيسوتا ، وكنيسة فى مدينة سانت لويس بولاية ميسورى ، وفى مدينة دنفر بولاية كولورادو ، ولوس أنجلوس أصبح لنا فيها كنيستان ، وفى منطقة بلفلاور ، ومنطقة أورانج كاونتى ، وسان فرانسو فالى ، وكوفينا ، وتورانس ، وريفرسايد ، وفنتورا ، وكورونا ، وسانتاموتيكا ، وسان دييجو ، وسكرامنتو فى كاليفورنيا ، وفيكتور فيل ، ونكستر فى كاليفورنيا أيضا ، وبالمديل ، وسان فرانسسكو ، وبيكر سفيلد ، وسياتل ، وهونولولو ، ثم كنيسة أخرى فى سان فرانسسكو .

وفى منطقة جنوب كاليفورنيا بدأ إنشاء دير فى عام ١٩٧٣ كان على

مساحة ٤٠ فدانا ، ثم ازدادت مساحته فأصبح ١٢٠ فدانا ، ثم أصبحت ٢٤٠ فدانا ، زرته لأول مرة عام ١٩٧٧ ، وكلفت نيافة الأنبا انطونيوس مرقس أثناء وجوده فى لوس أنجلوس بتكملة تعميره ، فقام بالتعاون مع أقباط لوس أنجلوس بإقامة مبنى يضم كنيسة صغيرة وحجرتين للزوار ، ومكتبة ، وقاعة اجتماعات ، ومطبخا ، ودورات مياه ، وقلالى للرهبان (القلاية مكان متواضع يعكف فيه الراهب للتأمل والعبادة) وافتتح هذا المبنى عام ١٩٨٨ ، وفى سنة ١٩٨٩ تم اختيار أربعة من الرهبان لتعمير هذا الدير ، وافتتحت هذا الدير رسميا يوم ٦ نوفمبر ١٩٨٩ بحضور أحد عشر أسقفا . وفى سنة ١٩٩٠ اشترى هذا الدير مساحة أخرى تبلغ أربعين فدانا أقام عليها بعض البيوت للضيافة والخلوة ، وفى عام ١٩٩٣ قرر المجمع المقدس اعتبار هذا الدير ضمن أديرة الرهبان ، وتم تعيين أسقف للدير ، وكان هذا أول دير للرهبان المصريين فى أمريكا ، يستقبل الأقباط ليقضوا فيه وقتا للعبادة والخلوة والحياة الروحية . ويجدوا الرعاية من الرهبان .

أما فى جنوب الولايات المتحدة فقد أنشئت كنيسة فى داتيونا بيتش قمت بتدشينها عام ١٩٩١ ، وفى أورلاندو قمت بتدشينها عام ١٩٩٢ ، وقبل ذلك فى تامبا فى ولاية فلوريدا بدأت خدمتها عام ١٩٨٦ ، وفى كلير ووتر ، وبومبا نويتش قمت بتدشينها عام ١٩٩٢ ، وفى باتلانتا بولاية جورجيا ، وفى دالاس ، وهيوستن بولاية تكساس ، ومان انطونيو ، ونيو أورليانز بولاية لويزيانا ، وفينكس بولاية أريزونا .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل أنشئت كنيسة للأقباط فى جزر الكاريبى عام ١٩٩٠ ، وعين القمص شنودة رفائيل لكنيسة مار مرقس ، والأنبا بشرى فى كنيسة سانت كيتس بجزر الهند الغربية ، والقمص انطونيوس

ميخائيل لكنيسة مار مرقس فى سانت توماس بجزر فرجن .. وامتدت الكنائس حتى وصلت إلى برمودا ، فى عام ١٩٩٠ ، وأصبحت لنا كنائس فى البرازيل والأرجنتين ..

بدأت الكنيسة القبطية فى أمريكا الجنوبية عندما أوفدت نيافة الأنبا سرابيون أسقف الخدمات لتفقد الأقباط هناك ، والتعرف على أحوالهم وظروفهم وأماكن تجمعهم ، والاتصال بالهيئات الكنسية التى يمكن أن تسهم فى خدمة الكنيسة القبطية هناك ، وقد تبين أن أكثر أماكن تجمع الأقباط المصريين فى أمريكا الجنوبية فى البرازيل والأرجنتين .. بعد ذلك سافر نيافة الأنبا بطرس الأسقف العام لتفقد الأقباط فى البرازيل والأرجنتين وتأسيس أول كنيسة قبطية فى أمريكا الجنوبية ، والتقى بالأقباط هناك ، وأقام لهم القداسات الإلهية ، والتقى بالسفير وأعضاء السفارة المصرية ، وفى الأرجنتين التقى مع عمدة العاصمة بوينس أيرس ومع بعض رجال الدين من الطوائف المسيحية الأخرى ، وفى ذلك الوقت تبرع أحد الأقباط المصريين المقيمين فى الأرجنتين بقطعة أرض لتقام عليها كنيسة ، تم تسجيلها فى سبتمبر ١٩٩١ ، وهكذا بدأت الكنائس المصرية فى الأرجنتين ، أما فى البرازيل فقد بدأت عام ١٩٩١ حين سافر القمص شاروبيم يعقوب للخدمة هناك ليكون أول كاهن قبطى مصرى يخدم فى البرازيل ، واتخذنا مدينة سان باولو لتكون مركزا لخدمة الكنيسة القبطية هناك ، وامتدت الخدمة إلى جواريليوس ، وهكذا أصبحت لنا كنائس متعددة ونشيطة فى أمريكا الجنوبية ..

أما الكنائس فى أستراليا فلها قصة أخرى .

حين تزايد عدد الأقباط المصريين المهاجرين إلى استراليا كتبوا إلى قداسة البابا كيرلس السادس يطلبون إرسال كاهن قبطى لرعايتهم ، وأرسل فى عام ١٩٦٨ القمص مينا لبيب نعمة الله ، وكان يعمل مدرسا بالمرحلة الثانوية وشماسا فى الكنيسة المرقسية بالإسكندرية ، فسافر بالباخرة فى ديسمبر ١٩٦٨ ووصل إلى مدينة سيدنى فى ٢٢ يناير ، ولم تكن هناك كنيسة قبطية ، فتم تأجير كنيسة ليجتمع فيها الأقباط المصريون ويؤدوا الصلاة ، إلى أن أنشئت بعد شهور أول كنيسة مصرية فى استراليا .

وكان القمص مينا لبيب يوزع خدمته بين مدينتى سيدنى وملبورن ، فكان يذهب إلى ملبورن مرة كل شهر بالطائرة ويجمع الأقباط المقيمين هناك ، وكانوا وقتئذ حوالى مائة أسرة .. كان يجمعهم فى صالة ويقيم القداس الإلهى ويمكث معهم ثلاثة أيام . ثم يعود إلى سيدنى وهكذا .. ولما تزايدت أعباء الخدمة عين القس بقطر روفائيل للخدمة فى ملبورن عام ١٩٧٠ ، وفى العام نفسه تأسست كنيسة قبطية فى ملبورن ، وبعد ذلك اتسعت الخدمة فى استراليا ..

وقال لى قداسة البابا شنودة :

هل تعرف أنه تم تأسيس ٢٣ كنيسة فى أنحاء متفرقة فى استراليا حتى عام ١٩٩٦ فى سيدنى وملبورن وكانبرا وبرسبن وأيضا فى بيرث فى أقصى الغرب .. وهل تعرف أنه أصبح لنا ديران للرهبان أولهما فى ملبورن والثانى فى سيدنى ؟ .. وهل تعرف أنه تم تأسيس كلية أكليركية فى سيدنى ومركز قبطى فى العاصمة كانبرا على مساحة ١١ ألف متر مربع حضرت وضع حجر الأساس لهما فى نوفمبر ١٩٨٩ .. وهل تعرف أن فى استراليا قرية

قبطية متكاملة الخدمات على مساحة ٤٧ فدانا ، ولنا أيضا ٣ مدارس قبطية .. وفى ملبورن كلية القديسة العذراء حضرت افتتاحها فى عام ١٩٩١ ، وكلية القديس الأنبا انطونيوس حضرت افتتاحها أيضا عام ١٩٩١ ، والثالثة فى سيدنى تابعت مشروعها أثناء زيارتى لاستراليا عام ١٩٩٥ ..

ثم قال البابا شنودة :

بعد ذلك : أليس طبيعيا أن أزور أستراليا .. لقد زرتها حتى الآن خمس مرات .. عام ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ .. وانتدبت كثيرا من الأساقفة لزيارة أستراليا .. وأصبح لنا كثير من الكهنة فى كنائسها .. وكذلك قمنا بإعداد دستور موحد للكنائس القبطية فى أستراليا ..

□□□

ثم قال البابا شنودة :

الكنائس المصرية لم تنتشر فى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية واستراليا فقط خلال ربع القرن الأخير ، بل انتشرت جدا فى أوروبا ..

إننا نقوم بتأسيس الكنائس فى كل بلد توجد فيه تجمعات قبطية ، ولذلك أصبحت لنا كنائس متعددة فى منطقة واحدة .. لنا عشر كنائس فى كل من سيدنى باستراليا .. ولوس أنجلوس بكاليفورنيا ومنطقة نيويورك ، ونيوجرسى .. وتأسيس الكنائس ارتبط بإرسال أوسيامة الآباء الكهنة .. وإعداد الكهنة أو اختيارهم كان جهدا كبيرا .. لم يكن الأمر سهلا .. لأنه ليس كل كاهن يصلح للخدمة فى المهجر حيث يعيش الأقباط فى ظل ثقافات وأنكار وعادات ومناخ سياسى واجتماعى مختلف تماما عما هو الحال فى مصر .. كنا نبحث عن كهنة يجيدون اللغات الأجنبية لأن كثيرا

من الأقباط المهاجرين فقدوا القدرة على التخاطب والقراءة باللغة العربية ، وخصوصا الجيل الثانى من أبناء المهاجرين الذين تعلموا فى مدارس أجنبية وأصبحت لهم صداقات وعلاقات وتعاملات فى هذه المجتمعات بلغاتها .. لذلك أرسلنا أكثر من ١٥٠ كاهنا لخدمة بلاد المهجر وراعينا قدرتهم على التعامل باللغات الأجنبية ، ومعرفتهم للوسط والبيئة والخصائص الثقافية والاجتماعية لهذه المجتمعات ، وأيضا سهولة تدبير الإقامة ، ويضاف إلى ذلك ترشيح الشعب هناك .

لقد صار للكنيسة القبطية كنائس فى كل قارات العالم ..

وبعد أن كان لكل كنيسة كاهن واحد ، أصبح لكثير من الكنائس كاهنان أو أكثر وبخاصة فى المواقع التى يكون فيها تواجد الأقباط المصريين كبيرا مثل لندن وسيدنى وملبورن ولوس انجلوس ونيويورك ونيوجرسى .. وازدياد عدد الكهنة يدل على اتساع الخدمة وازدحام الكنائس بالمصلين .. حتى أن بعض الكنائس تضيق بالمصلين فيقيم الكاهن القداس مرتين .. ومازالت هناك أماكن سوف تقام فيها كنائس قريبا .. لأن التجمعات القبطية كانت سببا فى إنشاء الكنائس . والكنائس أيضا أدت إلى إيجاد تجمعات قبطية .. وأخذ الأقباط يتبرعون ويتطوعون لإنشاء كنائس جديدة .

وقال البابا :

ليست المسألة بناء كنائس .. لقد بدأنا مشروعا واسعا للترجمة .. بدأنا ترجمة القداس الإلهى إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والهولندية .. وإلى اللغات السواحلية والأمهرية ولغات القبائل الأفريقية .. ثم ترجمنا كتب الطقوس .. ثم بعض الكتب الروحية .. وسير القديسين

والكتب العقائدية واللاهوتية وكتب عن تاريخ الكنيسة .. لماذا ؟ لأننا وجدنا أن الأجيال الجديدة لم تعد تستطيع القراءة باللغة العربية ، وهذه مشكلة سأعود إليها .

ليس هذا فقط .. وحدنا قوانين الكنائس .

كان لكل كنيسة قانون خاص بها . فأخذنا فى توحيد كل هذه القوانين بمراعاة الاختلافات فى قوانين كل دولة أو ولاية .. ولم يكن ذلك سهلا فى أمريكا .. لأن الكنيسة القبطية لم يكن معترفا بقانون خاص بها ، وكنا نسجل كنائسنا وفقاً لقوانين كنائس أخرى .. إلى أن قمنا بإعداد قانون خاص وسعينا إلى أن اعترفت الولايات المتحدة بهذا القانون .

□□□

ثم قال البابا شنودة :

يشغلنى الشباب فى المهجر .. أرى أنه لابد من جهد كبير لحمايته من أى انحراف عقيدى أو خلقى وسط التيارات الغريبة الموجودة فى دول الغرب .. لذلك أقمنا مؤتمرات دورية وحلقات ثقافية للشباب تحت إشراف الأسقفية العامة لخدمة الشباب .. وتقام هذه المؤتمرات على مستوى المناطق ويشترك فيها الأساقفة والكهنة ، وفى هذه المؤتمرات يتم التعرف على مشاكل الشباب وحلها .. وعلى أسئلتهم والإجابة عنها ، كما تكون هناك دراسات لبعض القضايا التى تهم الشباب فى إطار من الحوار والصراحة .. وكذلك يوجد اهتمام بمدارس التربية الكنسية ومناهجها فى دول المهجر . وفى كل الرحلات أخصص وقتا للجلوس مع الشباب والاستماع إليه .

□□□

ثم قال قداسة البابا :

عندما بدأت المسئولية كانت هناك كنيستان فقط فى كل من أمريكا وكندا واستراليا ، وكنيسة واحدة فى لندن ، ولم يكن معقولا أن يكون هناك أساقفة فى هذه المناطق ، ولذلك كانت مهمتى إرسال أساقفة من مصر للإشراف على رعاية الأقباط وتجميعهم وإيجاد روابط روحية بينهم .

ولحفظ العقيدة بين الأقباط فى المهجر تأسست ثلاثة فروع للكلية الأكليريكية المصرية ، فرع فى سيدنى باستراليا ، وفرع فى لوس انجلوس فى غرب الولايات المتحدة ، وفرع فى جرسى سيتى فى شرق الولايات المتحدة ، ويقوم بالتدريس فى هذه المعاهد اللاهوتية متخصصون ، وبدأت بنفسى تدريس اللاهوت هناك ..

وبعد نجاح المدارس القبطية فى ملبورن وسيدنى هناك مشروعات لإنشاء مدارس مماثلة فى لوس انجلوس ونيويورك ولندن .. تشرف على هذه المدارس وزارات التعليم فى هذه الدول وبجانب المناهج المقررة فى كل دولة نقوم بتدريس اللغة القبطية والألحان الكنسية والتربية الدينية بحسب المعتقدات الأرثوذكسية ..

ونحرص على إقامة ندوات أحضرها بنفسى مع الآباء الكهنة فى الولايات المتحدة وكندا وفى بريطانيا لمن يخدمون فى دول أوروبا ، وتشمل برنامجا روحيا ، وإجابة عن أسئلة الكهنة الذين يعملون فى المهجر ، وهدفنا هو توحيد الفكر العقائدى والروحى بين الكهنة ، وتكوين منهج موحد للعمل ، وربط الكهنة بعضهم ببعض ، ومتابعة عملهم حيث يقدمون تقارير عن أعمالهم ..

والأديرة فى بلاد المهجر أصبحت مراكز إشعاع روحى .. وبخاصة

للشباب الذى يقضى فيها فترات خلوة فى بيوت الخلوة المقامة فيها .. وقد تأسست ٧ أديرة حتى الآن .. دير فى صحراء كاليفورنيا بأمريكا وفى ميلانو بإيطاليا وفى يغلباخ وهوكستر بالمانيا ، وفى فرنسا ، ودير فى سيدنى وآخر فى ملبورن باستراليا .

ثم قال البابا :

منحنا حرية الحركة للكنائس القبطية فى المهجر .. مجلس كل كنيسة يتولى الأمور الإدارية والمالية ولا نتدخل إلا إذا حدثت مشكلة ، لهذا ازدادت الإنشاءات والمشروعات ، وتطورت واتسعت الخدمة .. وبعد أن كانت العبادات تقام فى كنائس يستأجرها الأقباط لإقامة الصلوات فيها أصبحت كنائسنا قائمة على أرض تملكها ، وبعض الكنائس أقامت مبانى ومشروعات للخدمات الاجتماعية والثقافية ..

□□□

بعد ذلك قال البابا :

أظن أننى أستطيع أن أقول الآن . لماذا أسافر كثيرا .. ولابد أن أسافر كثيرا .. لألتقى بأبنائى هناك .. فى كل مكان .. وباستمرار .. زياراتى للرعاية أولا .. لدراسة حالة الكنائس على الطبيعة .. ومعرفة ما يلزم لها ، والالتقاء مع الكهنة والأقباط المهاجرين جميعا ، وخلال هذه الزيارات يتم تدشين الكنائس ووضع حجر الأساس لكنائس ومشروعات جديدة ، وسيامة شمامسة لكنائس من الشباب والأطفال لكى يرتبطوا بالكنيسة وطقوسها منذ نعومة أظافرهم .. ولكى ألتقى بكبار رجال الدولة .. مع رؤساء الدول والحكومات والعمد والقيادات المدنية والعلمية .. ومع قادة الطوائف المسيحية

الأخرى ، وكل هذا لتدعيم مكانة الكنيسة القبطية المصرية فى دول المهجر .. وعادة أدعى لإلقاء محاضرات فى الجامعات مثل جامعات لندن وسيدنى وبون وكليرمونت وسان فرانسسكو ولندن ، وغيرها كثير ..

وتكون زياراتى مناسبة لمخاطبة الرأى العام فى كل دولة من خلال أحاديث للصحافة ومحطات التليفزيون وشرح السياسة المصرية ودور مصر ورئيسها والتقدم الذى يحدث فى المجتمع المصرى ..

وكما ازداد اهتمامنا بالتربية الدينية ازداد اهتمامنا برعاية المهاجرين الجدد ، فأنشأنا بيوتا لاستقبالهم وتأهيلهم للحياة فى هذه البلاد ، وتشغيل العاطلين منهم بقدر الإمكان ..

وقال البابا أيضا :

ولاهتمامى بشئون المهجر أنشأت مكتبا فى المقر البابوى بالقاهرة لشئون المهجر ، يتلقى أخبار كنائس المهجر والرسائل والفاكسات .. ويعد ملفات لكل كنيسة ولكل موضوع ..

ثم قال :

نحن لا نعمل لليوم فقط .. ولكن نعمل للمستقبل .. ونرى أن الواجب أن تمتد الرعاية إلى كل قبطى فى الخارج مهما يكن مقيما فى أماكن بعيدة ..

□□□

ثم قال قداسة البابا :

هل تعرف قصة كنائس أوربا .. ؟

وبعد لحظة صمت قال :

فى بريطانيا مثلا .. بدأ أول قداس فى لندن عام ١٩٥٤ وشارك فيه بعض القسس المصريين كانوا فى بعثة إلى أمريكا لحضور اجتماع الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمى ، وقد أقيم هذا القداس فى كنيسة للروم الأرثوذكس كان يصلى فيها القبارصة المقيمون فى لندن . بعد ذلك قام بعض الأساقفة بزيارات لتفقد الأقباط فى لندن ، وزرت لندن حين كنت أسقف التعليم فى عام ١٩٦٣ ، وفى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات بدأ عدد الأقباط فى لندن يتزايد ، وكان بعضهم من الخدام فى الكنيسة فى مصر قبل سفرهم إلى هناك ، فشعروا بالحاجة إلى قيام خدمة منتظمة فى انجلترا ، وفى عام ١٩٧٠ بدأت أول اجتماعات منتظمة لدراسة الكتاب المقدس ، وفى عام ١٩٧١ تم اختيار أحد الآباء الكهنة للخدمة فى لندن وحين توليت المسئولية زرت لندن ودعوت الأقباط إلى شراء أرض وبناء كنيسة مصرية بدلا من استئجار كنائس للصلاة فيها ، وفى عام ١٩٧٢ تم تسجيل هيئة فى بريطانيا باسم مجلس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وفى عام ١٩٧٤ وجد الأقباط كنيستين فى حى كينسنجتون تابعتين لطائفتين من البروتستانت واختيرت إحداهما ودفع الأقباط فى لندن ثمنها بالكامل وأصبحت أول كنيسة مصرية فى بريطانيا ، وبعد ذلك امتدت الخدمة إلى كل بريطانيا ، فتم إنشاء كنيسة فى برايتون بجنوب انجلترا حضرت تدشينها عام ١٩٩٤ ، وكنيسة فى استفينج ، ومانشستر ، ونيوكاسل ، ودونكستر ، وشمال لندن ، وبرمنجهام ، ولنا أيضا المركز القبطى فى برمنجهام ، تم توقيع عقد شرائه عام ١٩٨٨ وتبلغ مساحته حوالى ١٢ فدانا ويضم قصرا كبيرا تم تخصيص إحدى قاعاته لتكون كنيسة ، وعين أسقف عام فى برمنجهام عام ١٩٩١ ..

وهكذا مع زيادة الأقباط المصريين فى بريطانيا ازدادت الكنائس وازدادت الحاجة إلى زيارات من الكهنة المصريين لرعاية هؤلاء المهاجرين وأبنائهم .. وكان من الضرورى أن أزورهم والتقى بهم بصفة دورية ..

هذه بريطانيا ..

أما فرنسا فكان يرعى الأقباط فيها كاهن الكنيسة فى لندن ويذهب إليهم كل شهر ، وفى عام ١٩٨٥ أوفدت أحد القسس للخدمة فى مرسيليا ، وتزايد عدد الكهنة فى فرنسا وامتدت الخدمة من باريس إلى طولون ومارسيليا وأصبح لنا فى فرنسا خمس كنائس ، ودير قبطى .. فى باريس لنا ثلاث كنائس تخدم العائلات والشباب القبطى ، وكنيسة فى مارسيليا ، ودير فى طولون ويخدمها مطران يساعده أسقف .

فى ألمانيا القصة مختلفة ..

بدأت خدمة الأقباط بتكوين مجموعة هدفها دعوة كاهن مصرى لإقامة قداس إلهى كلما تيسر ذلك ، وكان القداس يقام فى كل مرة فى مكان غير محدد ، ويدعى إليه من يعرفه الأقباط فى نطاق محدود ، وحين كنت أسقف التعليم زرت ألمانيا عام ١٩٦٣ والتقيت بالأقباط المهاجرين فى فرانكفورت وشتوتجارت ، ولكن لم تقم خدمة دائمة منتظمة فى ألمانيا إلا منذ مارس ١٩٧٥ حين بدأنا الاتصال بالهيئات المسكونية لتقديم الدعم لإنشاء أول كنيسة قبطية فى ألمانيا واستجابت بعض الهيئات للدعوة ، وفى مارس ١٩٧٥ أوفدت أحد القسس لتأسيس أول كنيسة قبطية فى فرانكفورت فى كنيسة أثرية فى حى قديم تركها أصحابها بعد أن أقاموا مبنى آخر لكنيستهم ، وحررنا عقد انتفاع مع أصحابها بدون مقابل مادى ، وتم تجديدها وانتظم فيها عدد كبير من المصريين ..

واجهتنا مشكلة أن ٩٠٪ من الأقباط فى ألمانيا متزوجون من ألمانيات يتبعن مذاهب أخرى .. انجيلية أوكاثوليكية .. ولغياب الكنيسة القبطية

الأرثوذكسية أصبحوا أعضاء فى الكنائس الخاصة بالزوجات ويدفعون لها « ضريبة الكنيسة » التى تحصلها الدولة لصالح هذه الكنائس ، ولما أنشئت الكنيسة القبطية رأت أن تبقى على الالتزامات القائمة بين العائلات القبطية وباقى الكنائس حتى يطمئن الجميع أن هدف الكنيسة ينحصر فى الخدمة الروحية وليس لأهداف مادية .. وحتى لا تحدث خلافات بين الأزواج المصريين الأرثوذكس والزوجات الألمانيات من الطوائف الأخرى .. ووجد هذا الاتجاه ترحيبا من الألمانيات والمصريين على السواء ..

فى عام ١٩٧٥ تم تأجير مسكن فسيح للكاهن .

وأنشئت كنيسة ثانية فى مدينة شتوتجارت عام ١٩٧٥ ثم فى مدينة دسلدورف عام ١٩٧٥ أيضا وهى من أكبر الكنائس ويتميز الأقباط فى دسلدورف بأن أغلبهم من الأطباء والصيادلة ورجال الأعمال ، والمهندسين وهذا يزيد من التبرعات والمساهمات المالية لهذه الكنيسة مما جعلها تساهم فى نفقات الكنائس الأخرى فى ألمانيا ..

وأنشئت كنيسة ثالثة فى برلين عام ١٩٧٥ أيضا تم الحصول عليها من الكنيسة الروسية ،وفى ١٩٧٦ تأسست كنيسة فى مدينة ميونخ كانت كنيسة كاثوليكية وبجوارها حجرة لإقامة الكاهن ، وحصلنا عليها بدون مقابل ..

وفى عام ١٩٧٦ أيضًا بدأت الخدمة فى كنيسة هامبورج قريبا من المطار ، وهى تخدم أكثر من ألف أسرة قبطية تعيش هناك ..

فى عام ١٩٧٧ افتتحت كنيسة خامسة فى هانوفر ،

وفى عام ١٩٧٩ بدأت تنفيذ فكرة إنشاء دير فى كريفلباخ ليقيم فيه المصريون فترات للخلوة الروحية ويذهبون إليه فى رحلات لقضاء يوم معا ، ولتقديم الرعاية الروحية والاجتماعية للأسر المسيحية وبخاصة للشباب ..

تم شراء قطعة أرض مساحتها ١٦ ألف متر مربع عليها ثلاثة مبان تضم ٣٥ حجرة بملحقاتها ومحاطة بأشجار الورد ، وتقع فى قرية كريفلباخ على بعد ٤٥ كيلومترا من مدينة فرانكفورت ..

وتم تخطيط الدير ليشمل : الدير ، وكاتدرائية قبطية ، ومركزا لخدمة الشباب والأطفال مزودا بوسائل سمعية وبصرية ، ومركزا للدراسات القبطية لدعوة العلماء والدارسين للعلوم القبطية لإلقاء محاضرات به ، ومركزا للرحلات ينظم رحلات للكنيسة الأم فى مصر ، وبيتا لخدمة المسنين ،وبيتا للخلوة ، وموقعا لتجمع الأسر فى المناسبات الدينية والعطلات ، ومركزا لتعليم اللغتين : القبطية ،والعربية ، وإنشاء مقابر للأقباط فى ألمانيا .

وقال البابا شنودة :

هذا المشروع الكبير ساهمت فيه الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية الألمانية مع مساهمات الأقباط المصريين المقيمين فى ألمانيا ، وتم الافتتاح عام ١٩٨٠ وزرت هذا الدير عام ١٩٩٠ ..

وبعد ذلك أنشئ دير ثان للأقباط فى منطقة هوكستر . وزرت ألمانيا مرتين فى عام ٩٠ و٩٢ والتقيت بالأقباط فى فرانكفورت ،ودسلدورف ،وبون ، وبرلين ، وميونخ ، وشتوتجارت ، وكريفلباخ ..وغيرها ..

وقال قداسة البابا :

خذ مثالا آخر ..إيطاليا ..

كان الأقباط المهاجرون إلى إيطاليا يصلُّون فى كنيسة فرنسية فى فينيسيا ..

وفى عام ١٩٨١ أوفدت أحد الأساقفة لتفقد الأقباط فى إيطاليا .. وتوالت

زيارات الأساقفة إلى أن تم انتداب أحد القسس لخدمة الكنيسة القبطية هناك .. وأصبح لنا دير فى ميلانو .. وامتدت الخدمة من ميلانو إلى تورينو وروما وجنوا وفلورنسا وعين أسقف على ميلانو وتوابعها ، وأسقف آخر على تورينو وروما وتوابعهما ..ولنا الآن كنيسة فى كل من تورينو ،وفلورنسا ، وروما ، ودير فى ميلانو ، وكنيسة فى ميلانو أيضا ، وهناك مشروعات لكنائس أخرى ..

هذه هى كنائسنا فى إيطاليا ..

وليس هذا كل شىء ..

قال لى البابا شنودة :

قصة الكنيسة المصرية فى سويسرا تستحق الذكر أيضا ..

فى سنة ٧٦ قام كاهن الكنيسة القبطية فى ألمانيا بزيارة إلى زيورخ لتفقد الأقباط هناك ، وأقام لهم القداس الإلهى ونظم لهم اجتماعات شهرية بقيادة أحد الخدام هناك .. ثم قام بزيارات شهرية إلى جنيف وإقامة الصلوات فى كنيسة كاثوليكية .. وفى سنة ١٩٨٠ انتدبت أحد القسس لتفقد الأقباط فى سويسرا ،

وبعد ذلك انتدبت أحد القسس للإقامة هناك .. وفى هذه الفترة تأسست أول كنيسة قبطية للمصريين فى سويسرا .. فى العاصمة جنيف ، وفى سنة ١٩٨٩ تم تشكيل أول مجلس للكنيسة .. وبعد ذلك تأسست ثلاث كنائس فى سويسرا فى جنيف ، وزيورخ ، ولوزان ..

وقريب من هذا ما حدث فى النمسا ..

فى ١٩٧٥ شكلت أول لجنة لرعاية الأقباط المصريين فى النمسا ولجنة أخرى من السيدات للمشاركة فى تنظيم الخدمة ، وفى سنة ١٩٧٦ أوفدت أحد القسس لرعاية الأقباط بالنمسا ، وقام بترجمة القداس الإلهى إلى اللغة الألمانية ،وأقام قداسات فى فيينا وجراتسى واينزبروك ، وقام بعمل العضوية الكنسية لهم ، وكان عدد العائلات التى أمكن التعرف عليها وقتذاك ١١٣ عائلة ..

بعد ذلك امتدت الخدمة فأصبحت لنا كنيسة فى كل من فيينا ،وجراتسى ، ولينز ، واينزبروك ، وبيشوف شوفن ، وأصبح الكهنة والرهبان يزورون النمسا كثيرا للمساهمة فى خدمة الأقباط هناك .

وفى هولندا حدث نشاط كبير فى سنوات قليلة .

فى نوفمبر ١٩٧٨ انتدب أحد القسس لزيارة الأقباط فى هولندا ، ثم انتدب أحد الكهنة لرعايتهم والإقامة معهم ، وفى ١٩٨٥ تم توقيع عقد شراء كنيسة فى أمستردام ،وامتدت الخدمة إلى مدن انترخت ودنهاخ ولاهاى .. وزرت هولندا مرتين : الأولى سنة ١٩٩٢ والثانية سنة ١٩٩٤ ..

وأيضا فى السويد ..

فى مايو ١٩٨١ أوفدت أحد الأساقفة لتفقد الأقباط فيها ، وبعدها عين أحد القسس لخدمة الأقباط فى ستكهولم . بعد ذلك طلب الاريتريون فى السويد الانضمام للكنيسة القبطية ووافقنا على ذلك ، وبدأنا فى تفقد الأقباط المصريين فى مدن أخرى غير العاصمة ستوكهولم .. وجو تنبرج .. وابسالا .. ومالمو .. وكالمر .. وهمربى .. ونبرو .. وكريستان استاد .. وقمت بزيارة السويد فى عام ١٩٩٣ وقضيت فيها ٨ أيام التقيت خلالها

بالأقباط وقمت بتدشين كنيسة لنا فى ستوكهولم ، ثم أنشئت كنيسة ثانية فى جوتنبرج عام ١٩٩٥ على أرض مساحتها ١٢٥٩ مترا مربعا ..

والدانمرك ..

فى سنة ١٩٨٠ انتدبت الأسقف العام للخدمات الاجتماعية لتفقد الأقباط فيها ، وفى سنة ١٩٨٥ انتدبت أحد القسس لخدمة الأقباط هناك ، وفى أواخر سنة ١٩٨٩ اشترى الأقباط فى الدانمرك كنيسة ، وفى سنة ١٩٩١ تم إيفاد أحد القسس لخدمة الأقباط .. وقمت بعد ذلك بزيارة الدانمرك فى سبتمبر ١٩٩٣ وقمت بتدشين كنيستين هناك ..

وقبرص ..

بدأ تواجدنا فى قبرص عام ١٩٨١ حين أوفدت أحد القسس لتفقد الأقباط فيها ، وبعدها تم انتداب قس لخدمتهم ، وامتدت خدمته إلى مدن أخرى هى ليماسول .. وبافوس .. ونيقوسيا .. وحين طلبت من أسقف ليماسول .. أن يسمح لنا بأداء الصلوات فى إحدى الكنائس أعطى للأقباط المصريين كنيسة بصفة دائمة ، وفى سنة ١٩٩١ استأجرت الكنيسة منزلا ليكون مركزا للخدمة ، وقد زرت قبرص ثلاث مرات : الأولى سنة ١٩٩٤ ووضعت حجر أساس كنيسة مصرية فى ليماسول ، والثانية سنة ١٩٩٥ والثالثة فى ١٩٩٧ ..

فوق هذا لنا كنيسة فى اليونان أنشئت سنة ١٩٩١ فى العاصمة أثينا ..

ولنا كنيسة فى بلجيكا فى العاصمة بروكسل ..

وفى كندا أقباط كثيرون ، ولذلك لنا أكثر من كنيسة ..

فى كندا لم يكن لنا إلا كنيستان للأقباط المصريين .. واحدة فى تورنتو ، والثانية فى مونتريال ، ولم يكن لنا سوى كاهنين : ومنذ بدء مسئوليتى وحتى سنة ١٩٩٦ وصل عدد الكنائس ١٥ كنيسة وأصبح لنا ٢٠ كاهنا ، وامتدت الخدمة إلى مدن أخرى غير تورنتو ومونتريال .. واتوا .. وادمنتون .. وكالجرى .. وفانكوفر .. وهاميلتون .. واتوبيكو .. وبرامتون .. وانتاريو .. ويزور الأساقفة من مصر هذه الكنائس ويلتقون بأبنائنا .. وقد زرت كندا ٦ مرات ..

بعد هذا العرض يقول لى البابا شنودة :

صدقنى .. أنا شخصيا لم أكن أحب الهجرة إطلاقا .. وقلبى يتعلق ببلادنا كل التعلق .. وما كنت أنصح إنسانا بأن يهاجر .. ولكننى عندما توليت المسئولية شعرت أن على واجبا لابد أن أقوم به بالنسبة للأقباط المصريين الذين هاجروا سواء كنت أحب الهجرة أو لا أحبها .. كان أمامى الواقع وهو أن هناك عشرات الآلاف من المصريين هاجروا .. وإذا تركناهم دون خدمة ورعاية فسوف يذوبون تماما فى المجتمعات الغربية ، وهى مجتمعات غريبة عليهم فى كل شىء .. حتى فى كنائسهم .. فكان لابد من الاهتمام بهم .. وبدأت فى إنشاء كنائس تجمعهم .. وترعاهم .. وتربطهم بالعقيدة .. ولم يكن إنشاء الكنائس أمرا سهلا .. كذلك لم يكن سهلا إعداد الكاهن الذى يخدم فى بلاد المهجر .. وهى بلاد اعتاد الناس فيها حرية الرأى على أوسع نطاق .. ولهم عادات مختلفة عنا ..

□□□

كان لابد أن أبدأ بإعداد كهنة من نوعية خاصة للمهجر .. بحيث يكون

الكاهن على درجة عالية من إتقان اللغات الأجنبية على الأقل ليرعى الأطفال والشباب الذى لا يعرف اللغة العربية .. وعندنا يعترف الإنسان بخطاياه على الكاهن ، والكاهن يرشده روحيا .. فإن لم يكن متمكنا من اللغة فلن يستطيع القيام بهذه الرسالة .. وكذلك الواعظ .. كيف يلقى موعظة وهو لا يجيد لغة الذين يستمعون إليه .. وكيف يخالط الأقباط ويكتسب ثقتهم وهو لا يعرف كيف يخاطبهم ويتفاعل معهم ؟ .. هذا فوق الصفات الطبيعية التى يجب أن يتسم بها الكاهن .. أن تكون شخصيته هادئة يستطيع أن يتقبل كل شيء ، ويعامل الناس باللطف الذى يكسبهم به ..

وقال البابا بعد ذلك ..

– النقطة الجوهرية التى قابلتنا أول الأمر هى أن الذين يصلحون للخدمة فى المهجر لا يريدون ذلك ولا يرحبون به ؛ لأنهم مرتبطون بالوطن ولا يحبون الابتعاد عنه .. والذين يقبلون الهجرة لا يصلحون لها .. لذلك كان علينا أن نبحث عن الشخص الذى يصلح ويوافق وتوافق أسرته ، وتوافق الكنيسة التى يخدم فيها على الاستغناء عنه ، وأن نجد بديلا له .. وهكذا .. وصادفتنا مشاكل .. سفارات تعطى تأشيرة للكاهن وترفض بالنسبة لأسرته ، لدرجة أنى طلبت مرة سفر زوجة الكاهن إلى أمريكا بشهادة أن زوجها شيخ كبير السن وصحته تحتاج إلى رعاية خاصة .. وفى مرة أعطوا تأشيرة للكاهن وزوجته ورفضوا إعطاء تأشيرة لابنه .. وهكذا كنا نحل مشكلة لنجد مشكلة ..

ولم يكن إنشاء الكنائس سهلا .. كنا نستأجر كنائس من الطوائف الأخرى ، وبدأنا بعد ذلك نبحث عن شراء كنائس قائمة .. وأحيانا نبحث

عن أرض لإقامة كنيسة عليها .. وكل هذه أمور تحتاج إلى إجراءات رسمية .. وفى بعض قوانين الولايات فى أمريكا لابد أن يسمعوا رأى سكان المنطقة كشرط للموافقة .. أحيانا كان أهالى بعض المناطق يرفضون إقامة كنائس فى مناطقهم .. فى مرة قالوا إن وجود أطفال كثيرين فى الكنيسة وحولها سيكون سببا فى أن يفقدوا الهدوء ، ولجأ الأقباط فى هذه الحالة إلى إرسال أطفالهم إلى بيوت أهل المنطقة ليقولوا لهم : نرجوكم أن تسمحوا بإقامة الكنيسة مع وعد منا بألا نسبب لكم أى إزعاج .. فى مدن أمريكا هناك مناطق تجارية فقط ، ومناطق صناعية فقط ، ومناطق خدمات .. ومناطق للسكن .. ولا يسمحون بإنشاء محل تجارى فى منطقة سكنية وهكذا .. وهذا جعل مهمة البحث عن مكان للكنيسة الجديدة أمرا صعبا ..

يأتى بعد ذلك التمويل .. ربما لا يوجد تمويل ، وأحيانا يجمع الأقباط الدفعة المقدمة من الثمن وبعد ذلك يحصلون على سلفة من البنوك تسدد على أقساط مع الفوائد وتكلف كثيرا ، وفى بعض الأحيان يوجد أقباط مصريون مستعدون لأن يدفعوا .. وهكذا استطعنا تأسيس كنائس ودفع ثمنها كاملا واستكمال إنشائها .. وبعض الكنائس مازالت عليها أقساط للبنوك تسددها مع الوقت ..

وكانت من مشاكلنا الخلافات الأسرية .. فى بلد مثل أمريكا فيها نظم وقوانين غريبة علينا .. هناك الطفل له حقوق ، والقانون يحميه حتى من أبيه وأمه .. وكذلك الشاب .. والفتاة .. والزوجة .. أحيانا يحدث خلاف بين زوج وزوجته .. وينفعل الزوج ويضرب زوجته .. تعلمت الزوجات المصريات المهاجرات أن القانون الأمريكى يعطيهن الحق فى اللجوء إلى البوليس فى مثل هذه الحالة ، ويأتى البوليس للقبض على الزوج .. مشكلة

تمرد الأبناء على الآباء .. وهذا دعانا إلى العمل على احتضان الأطفال لتربيتهم فى الكنيسة مبكرا على الأخلاق الشرقية ، فالحريات الشخصية تخرج هناك عن الإطار المعروف عندنا .. أذكر أننى كنت أتحدث مرة فى تجمع من الأقباط فى استراليا ، وجاء ذكر المساواة بين الرجل والمرأة فقال لى أحدهم : نحن نطالب بالمساواة بالنساء فى الحقوق .. المناخ الاجتماعى والأخلاقى هناك مختلف .. وكانوا يحتاجون إلى كتب روحية تكون متفقة مع المنطق الغربى .. لا يكفى أن تقول : تمسكوا بهذه القاعدة الدينية والأخلاقية لأن الانجيل يقول ذلك .. لأنهم سوف يناقشون النصوص .. لابد أولا من تكوين علاقة حب وثقة فى الكنيسة ليقبلوا ما تقوله .. ولابد من الإقناع بالعقل والمنطق وليس بالنصوص وحدها . الكنيسة لا تستطيع أن تضغط على الناس ، لأنهم سيقولون للكاهن هذه ليست بلاد الضغط والإكراه والطاعة .. هذه بلاد الحرية .. كل إنسان له شخصيته المستقلة وله حريته التى يحرص عليها وغير مستعد للتفريط فيها ..

كان علينا أيضا ترجمة الكتب الدينية إلى اللغات الأجنبية ، ونترجم الصلوات إلى كل اللغات .. ووجدنا صراعا بين الكبار والصغار .. الكبار يريدون أداء الصلوات كما كانوا يؤدونها فى مصر .. والصغار يريدون الصلوات باللغات الأجنبية وبالأسلوب السائد فى كنائس البلاد ، وجاء وقت ظهرت الحاجة إلى إصدار مجلة باللغة الانجليزية ، واستفدنا فى ذلك ببرامج الكمبيوتر .. وفى بلاد المهجر وجدنا ضرورة إنشاء كليات للاهوت فى المهجر للدراسات الدينية ، لكى نربى جيلا جديدا من الكهنة من أبناء المهاجرين ؛ لأنهم أقرب إلى طبيعة الأقباط هناك ويفهمون المجتمعات التى يعيشون فيها ويقدرون على التعامل بالأسلوب الذى يتفق معها .. والآن

أصبح لدينا عدد من هؤلاء الكهنة .. وهؤلاء لا نجد بالنسبة لهم صعوبات فى التأشيرة والمسكن وغيرها ..

□□□

وقال لى البابا شنودة :

هناك مشكلة أخرى واجهتنا .. مسائل الأحوال الشخصية .. مصريون يتزوجون أجنبيات ، ثم يكتشفون أنهم لا يستطيعون الاستمرار معهن لاختلاف الثقافة والطباع والتفكير .. وربما ينتهى الأمر بالطلاق .. وهنا لابد أن تتدخل الكنيسة .. لأن الكنيسة لا تريد الطلاق .. وهناك مشاكل أسرية فى المهجر من أنواع مختلفة تماما عن المشاكل الأسرية فى مصر .. ولذلك وجدنا الحل فى إنشاء مدارس قبطية لتربية أبناء المهاجرين على أخلاقنا وعاداتنا وعقائدنا منذ الصغر ..

ثم قال لى قداسة البابا :

ولكنى لم أقل لك شيئا عن كنائسنا فى الدول العربية .. فلنا كنائس فى أبو ظبى ، ودبى ، والبحرين ، ومسقط ، وبغداد ، والأردن ، والكويت ، ولبنان ، والقدس ، وليبيا ، والسودان ..

ثم توقف البابا شنودة لحظة طالت وقال لى بعدها :

الآن .. هل عرفت لماذا أسافر كثيرا إلى أمريكا وغيرها ؟ .. لأن لنا أبناء فى كل أنحاء العالم تقريبا لابد أن نلتقى بهم ونرعاهم ونرشدهم روحيا ونربطهم بالكنيسة الأم وبالوطن .. لكيلا يفقدوا الانتماء ..

أسافر أيضا لأنى أكون مدعوا لإلقاء محاضرات فى جامعات وجمعيات

لتعريف الغرب بأحوال مصر والكنيسة المصرية .. وكثيرا ما يمنحوننى المواطنة الفخرية أو الدكتوراه الفخرية ..

أرجو أن تكون قد وجدت الإجابة عن السؤال الذى أعرف أن البعض يردده وهم معذورون لأنهم لا يعرفون ..

□□□

قلت لقداسة البابا : ومع ذلك فما من مرة أسافر فيها إلى واشنطن أو نيويورك ، إلا وأجد باسمى فى الفندق مظروفًا فيه مجموعة من مطبوعات على ورق فاخر تتحدث كلها عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، حتى يخيل إلى من يقرؤها أنها تتحدث عن مصر أخرى غير مصر التى نعرفها ونعيش فيها .

ويبدو أن وراء هذه المطبوعات منظمة أو منظمات – وما أكثرها فى أمريكا – تجند بعض العناصر الساخطة ، والموتورة والمستعدة لبيع أى شىء وكل شىء بما فى ذلك الوطن والكرامة ، مقابل بضعة دولارات ، أو الكارت الأخضر للإقامة فى أمريكا أو المقابل الحصول على الجنسية الأمريكية التى يضطر بعضهم وهم فى عز الشباب إلى الزواج من الأجنبيات فوق الستين للظفر بهذه الجنسية .

وقبل أن أستكمل الحوار مع قداسة البابا ، أحرص على أن أقدم للقارئ صورة واضحة عن المؤامرة التى تدار فى الخارج تحت مسمى اضطهاد الأقباط فى مصر .

فلم يكن انعقاد لجنة الاستماع فى الكونجرس الأمريكى لبحث موضوع اضطهاد الأقباط فى مصر ، سوى الحلقة قبل الأخيرة فى سلسلة طويلة ..

بدأت خطوة خطوة .. وكل خطوة كان وراءها تنظيم ورجال وأعمال مثيرة .. أغرب من الخيال .

ويبدو أن لعبة الهجوم على مصر تلقى رواجا فى أمريكا ، وتجد أكثر من ممول مستعد للدفع بسخاء ، ويبدو أن موضوع اضطهاد الأقباط فى مصر هو الباب الملكى لمن يريد أن يحصل على المال والوظيفة والأمان فى أمريكا ، والتعايش مع المنظمات الصهيونية فى أمريكا يفتح كل الأبواب والخزائن .

وفى بعض الأحيان يتجمع عشرة أو عشرون مصريا من هؤلاء فى مظاهرة تقف أمام البيت الأبيض ، أو أمام فندق تنزل فيه شخصية مصرية مهمة ويرفعون لافتات عن اضطهاد الأقباط فى مصر .

ومن حين لآخر تنشر صحيفتا نيويورك تايمز وواشنطن بوست الأمريكيتان تحقيقا عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، ومعروف صلة هاتين الصحيفتين بالمخابرات المركزية الأمريكية ، وفى المناسبات تنشر الصحيفتان إعلانا مدفوعا – لا أحد يعرف من الذى يدفع تكاليفه الباهظة – للتنديد باضطهاد الأقباط فى مصر .

وفى آخر زيارة لى لأمريكا وصلنى تقرير غريب بعنوان « الأقباط فى مصر : الكنيسة تحت الحصار » باللغة الانجليزية ، أصدرته مؤسسة أمريكية اسمها مؤسسة الأقليات الدينية فى العالم الإسلامى » ، أشرف على تحريره جون اينر ، وهو مدير هذه المؤسسة التى تمثل المنظمة الدولية للدفاع عن المسيحية ، وملخص التقرير أن الأقباط فى مصر يعانون من اضطهاد القوانين لهم ، واجراءات الحكومة المتحيزة ضدهم ، ومن الضغط الاجتماعى عليهم ،

ومن معاداة الأقباط فى الإعلام ، والاعتداء عليهم فى حوادث العنف ، ومع ما فى هذا التقرير من غرابة ، كان الأكثر غرابة منه تقرير آخر تصدره جهة مجهولة فى أمريكا تسمى نفسها « جمعية الدراسات القبطية » فى نيوجرسى ، وفيه مقتطفات من مقال نشرته صحيفة الأوبزرفر البريطانية نقلا عن مراسلتها فى القاهرة فى ٥ يونيو عام ١٩٩٤ عن « مأساة بنات الأقباط فى الصعيد » ويتحدث المقال عن صور من الضغوط التى تتعرض لها الفتيات المسيحيات فى الصعيد من الجماعات الإسلامية ، أشبه بقصص ألف ليلة وليلة .

□□□

ويبدو أن وظيفة الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس الذى يعيش فى أمريكا هى إثارة كل الهيئات والمنظمات الدولية على مصر ، وإصدار نشرات وتنظيم ندوات للتحريض على مصر وحكومتها وشعبها ، وفى أحد مقالاته يقول : « لقد تأخرت مصر علميا وسياسيا واقتصاديا بعد أن صار رجال الأزهر هم الحكام الفعليين للبلد ، فمثلا سيطر شيخ الأزهر والشيخ الشعراوى على النواحى السياسية والإعلامية ، فانتشر الفساد والرشوة وانصرف الأساتذة عن البحث والتعليم إلى تفسير السنة والفقه ، فلم تنجب مصر علماء منذ النصف الأخير من هذا القرن ، وانتابت مصر هلوسة دينية لم يسبق لها مثيل ، وتعرض العلماء الحقيقيون والأحرار لحملة إعلامية شرسة واعتداءات ممولة من دول الخليج .. أما عن الأقباط فنحن ندعو إلى وجود هيئات علمانية للدفاع عن حقوق الأقباط فى مصر والوجود السياسى والاجتماعى والاقتصادى كما كان الحال قبل ثورة ١٩٥٢ حتى لا تتعرض الكنيسة للهزات مثل ماحدث فى سنة ١٩٨١ بواسطة سفاح الزاوية الحمراء .

ثم يتفرغ الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس للهجـــوم على الرئيس أنور السادات ، وعلى البابا شنودة أيضا ؛ ولا يعجبه أن البابا ظهر فى برنامج للتليفزيون الفرنسى وأكد أنه ليس هناك اضطهاد للأقباط ، ويهاجم أيضا الدكتور إدوار غالى الدهبى لأنه أصدر كتابا عن سماحة الإسلام ، ويشيد بالدكتور ميلاد حنا لأنه يظهر قضية الأقباط بشجاعة ..

ومثل هذا الكلام كثير .. كثير ..

الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس رجل كرّس نفسه لهذا العمل وعمل لكل خطوة من البداية حتى الآن بنشاط يثير الدهشة . هاجر من مصر بعد أن ولد وعاش وتعلم فيها ..

عاش فى أمريكا ، ووجد مصدر رزقه فى الهجوم على مصر ، فلم يتردد ، ثم استطاع بذكائه الواسع أن يدرك مبكرا أن التجارة الرائجة فى السوق الأمريكية ستكون فى إثارة قضية اضطهاد الأقباط فى مصر ، فاستخدم كل علمه وذكائه فى هذه التجارة حتى أصبح من كبار التجار ، خاصة وهو يحمل لقب « دكتور » مما يضفى عليه سمت العلماء ، ويصبغ بضاعته بصبغة علمية .. ولما راجت تجارته أنشأ جماعة أسماها « الهيئة القبطية فى المهجر » وأعلن أن هدفها « الدفاع عن الشعب والكنيسة القبطية فى مصر » .. ومثل هذه الجمعيات ، حتى لو كان أعضاؤها عشرة أشخاص ، تحظى بمساعدات من هيئات بعضها معروف الهوية ، وبعضها غامض وغير معروف الهوية ، وتتلقى مساعدات مالية سخية من جهات عديدة أيضا ، بعضها معلوم المصدر ، وبعضها غير معلوم المصدر .

والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس ليس وحده فى أمريكا الذى يقوم

بهذا العمل ، ولكن هناك غيره .. عدد من المصريين منتشرين فى الولايات المتحدة ، يثيرون صخبا عنيفا يعطيهم حجما أكبر من حجمهم ، خاصة أن هناك منظمات فى أمريكا كل هدفها هو تشويه صورة مصر لأغراض لا تخفى على أحد .. ومن يلُذْ بهذه المنظمات ويعمل وفق مخططها ، يجد عندها الأموال ، والوظائف ، والمناصب والأمان .. والأمان فى أمريكا بالنسبة للغريب المهاجر عنصر يجعله أحيانا يضحى بكل شىء من أجله ، حتى بالشرف والكرامة .

□□□

الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس جعل نفسه زعيما للمدافعين عن الأقباط فى مصر ، ورافع لواء المعارضة للحكومة المصرية ، ولأنه يحمل لقب « دكتور » فهو يعرف أن اللعب بورقة حقوق الإنسان تربح كثيرا فى أمريكا هذه الأيام .. ولأن الأمريكان لا يجدون وسيلة لإحراج الحكومة المصرية والضغط عليها إلا هذه الورقة ، فهم مستعدون لدفع الكثير وبغير حساب لمن يقدم لهم هذه الخدمة ، وينشر أبحاثا وكتبا ومقالات تضم وقائع بعضها صحيح ، وبعضها كاذب ، وأكثرها فيه الكثير من المبالغة .. والوقائع تبدأ بأحاديث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، وتتصاعد إلى أن تصل إلى درجة الحديث عن « التطهير العرقى » وهذا شىء لا يعرفه المصريون ولم يسمعوا عنه إلا فى البوسنة !

والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول فى أمريكا ما لم يقله أحد من قبل ، وهذا ما استحق عليه جوائز كثيرة .

يقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس : إنه بعد انتشار الإسلام تأخرت الدول الإسلامية ، ومازالت متأخرة ، لتدخُّل رجال الدين فى السياسة .. تأخرت هذه الدول سياسيا وعلميا واقتصاديا ، فالدول الإسلامية مثل

الباكستان وبنجلاديش وافغانستان والسودان وتركيا تعيش على الإعانات التى تأتيها من الدول الأوربية التى تحررت من سيطرة رجال الدين ، وصارت تنفذ « مالقيصر لقيصر وما لله لله (أى الفصل بين الدين والسياسة) .

أما عن مصر فسوف لا تتقدم إلا بعد فصل الدين عن السياسة . لقد تأخرت مصر علميا وسياسيا واقتصاديا ، بعد أن صار رجال الأزهر هم الحكام الفعليين للبلد ! فمثلا سيطر شيخ الأزهر والشيخ الشعراوى على النواحى السياسية والإعلامية والاقتصادية ، فانتشر الفساد والرشوة ، وانصرف الأساتذة عن البحث والتعليم إلى تفسير السنة والفقه .. فلم تنجب مصر علماء منذ النصف الأخير من هذا القرن ، وأثابت مصر هلوسة دينية لم يسبق لها مثيل ، وتعرض العلماء الحقيقيون والأحرار لحملة إعلامية شرسة واعتداءات ممولة من دول الخليج !

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس فى أمريكا : « نحن ندعو إلى وجود هيئات علمانية للدفاع عن حقوق الأقباط فى مصر ، والوجود السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، كما كان الحال قبل ثورة ١٩٥٢ ، حتى لا تتعرض الكنيسة للهزات مثلما حدث فى سنة ١٩٨١ بواسطة سفاح الزاوية الحمراء الرئيس أنور السادات !! وظهرت الكنيسة بمظهر الضعف بعد اجتماع أنبا رويس الذى وافق على قرارات السادات التى تخالف قوانين الكنيسة » .

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس أيضا : « إنه عند تصحيح الأوضاع صمت رجال الدين عن الدفاع عن اضطهاد الأقباط وقتلهم وتشريدهم ، وعن اشتراك قوات الأمن المركزى فى التعاون مع الجماعات الإرهابية الإسلامية فى هذا الإجرام ، فعهد الرئيس مبارك يعتبر أكثر شراسة

من عهد السادات . ففى عهد الرئيس السادات ارتكبت مذبحة الزاوية الحمراء ، أما فى عهد الرئيس مبارك فقد ارتكبت عدة مذابح وتم تشريد كثير من الأقباط فى قرى محافظة أسيوط . وفى الوقت نفسه يقابل هذا بصمت غريب من رجال الدين ، وحفلات لا يتم فيها إلا بوس الذقون ، هذا مما دعا كثيرين إلى ترك الدين المسيحى . وإذا تدخل رجال الدين فى السياسة فهذا يدعو إلى تدخل رجال الحكم فى الأمور الداخلية للكنيسة .. الشعب القبطى يحتاج إلى أقباط أحرار لهم الشجاعة بالتحدث عن آلامه وآماله بشجاعة مثل : انطون سيدهم ، وميلاد حنا ، وميلاد صاروفيم ، وماجد عطية ، وأنسى نجيب ساويرس .. وغيرهم .

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس أيضا : « نحن ندعو لتكوين جبهة علمانية لها فروع فى جميع المحافظات والبلاد تضم الأحرار وما أكثرهم ، فالشعب القبطى مستعد للتضحية لمواجهة المؤامرة الدينية التى تقوم بتصعيدها الحكومة مع الجماعات الإسلامية لتصفية الشعب القبطى ، ولكن يحتاج الشعب القبطى إلى قيادة قوية ، فالمسلمون لا يحترمون هؤلاء الضعفاء ذوى المصالح الشخصية ، بل يحتقرونهم ، أمثال كمال هنرى أبادير ، وجورج روفائيل ، ومنى مكرم عبيد ، وفكرى مكرم عبيد .

هذه عينة من البضاعة التى يبيعها الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس فى أمريكا .

إنه يبيع الأكاذيب بالجملة ، وفى سياق الحديث يبدو دفاعا عن الأقباط وهو فى الحقيقة مادة للمنظمات المعادية والهيئات الممولة ، والجهات المانحة ، لإعلان الحرب على مصر .

وتأملوا السموم الكثيرة التى دسها فى هذه السطور القليلة .

● إنه يردد الأقوال المعادية القديمة والحديثة التى تتلخص فى أن الإسلام هو سبب تأخر الشعوب الإسلامية .. وطبعا لا يجرؤ على القول بأن الاستعمار القديم هو سبب التأخر .. والنظام الاقتصادى العالمى الجديد هو السبب الجديد للتأخر .. وأن سادته فى أمريكا الذين يتولون قيادة النظام العالمى الجديد هم الذين يسعون بكل الوسائل لمنع هذه الدول من التقدم ، ولعله سمع عن الحرب المعلنة على باكستان لمجرد أنها حققت بعض التقدم فى العلوم النووية .

● ثم إنه يلقى اتهاما غريبا للرئيس الراحل أنور السادات لم يقل به أحد من قبل ، وكأنه حقيقة معروفة ومسلم بها ، وهى أن الرئيس السادات هو « سفاح الزاوية الحمراء » وناهيك عن التطاول وبذاءة التعبير ، ويكفى أن نقف عند الاتهام الذى لا يستند إلى أى دليل ولا قال به أحد من قبل ، ولكنه أراد أن يظهر مهارته فى أداء وظيفته فاخترع اتهاما جديدا للدولة ورئيسها .. ولابد أن كل شىء بثمنه !

● ثم إن الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول للأمريكيين : إن شيوخ الأزهر والشيخ الشعراوى هم الذين يتولون حكم مصر . وهذه سلعة جديدة ، وخدمة إضافية لمن يريد أن يهاجم الدولة فى مصر على أنها قريبة من نظام الحكم الإيرانى حيث يتولى رجال الدين السلطة ، وهو بذكائه وعلمه يعرف جيدا حساسية الرأى العام الأمريكى للوضع فى إيران ، فتطوع بأن يعطى للمنظمات التى يعمل فى خدمتها سلاحا جديدا يربط فيه بين الوضع فى مصر والوضع فى إيران ، وهذا أيضا دس رخيص ، وكذب واضح ، ودعاية سوداء ..

● والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول : إن سيطرة الشيوخ أدت إلى انتشار « هلوسة دينية فى مصر لم يسبق لها مثيل » وهو يعلم أن الهلوسة الدينية ليست من صنع رجال الأزهر ولا الشيخ الشعراوى ولكنها أولا محدودة ، وثانيا هى من صنع قوى مريضة نفسيا ومشوشة فكريا ، من أمثال بعض الذين يعرفهم الدكتور فلتاؤوس ويتعامل معهم ، وهؤلاء موجودون فى كل الأديان ، وفى كل الأقطار ، والولايات المتحدة بالذات هى أكبر دولة فى العالم تنتشر فيها الهلوسة الدينية حتى أن فيها كنيسة لعبادة الشيطان ، وجماعات تجمع بين الهلوسة الدينية والجنس والمخدرات فى وقت واحد ، وهؤلاء يعرفهم الدكتور فلتاؤوس جيدا . ولكنه لا يجرؤ على الحديث عنهم !

● وهو يصل إلى عرض أحسن مالديه من بضاعة يستحق عليها ثمنا غاليا هى طرح فكرة أن عهد الرئيس مبارك أكثر شراسة فى اضطهاد الأقباط أكثر من شراسة عهد السادات ، وهذا بالضبط ماتريد أن تروّجه المنظمات التى يتعامل معها الدكتور فلتاؤوس ؛ لأنها تريد فرض حصار سياسى على مصر الآن وليس مصر السادات .. تريد الضغط على حكم مبارك لأنه يقف مدافعا عن حقوق الفلسطينيين .. لأنه يعيد تجميع أشلاء العالم العربى .. لأنه يعمل على تحديث بلده بالتعليم والصناعة واستزراع الصحراء .. لأنه يقود عملية تحوُّل تاريخية هائلة لنقل بلده إلى التحرر الاقتصادى والتعددية السياسية والديمقراطية .. ثم لأنه نجح فى أن يحتفظ لمصر بدور قيادى رغم المؤامرات الكبرى عليها وعليه .

تشويه صورة مصر أولا .. ثم تشويه عصر مبارك ثانيا .. هذا هو الهدف الذى رُصدت له الأموال لإصدار المطبوعات وإنشاء الجمعيات والمعاهد ومحطات التلفزيون والإذاعة ..

وللدكتور شوقى فلتاؤوس كراس كتاب بالانجليزية عنوانه « الأقباط منذ الفتح العربى غرباء فى أرضهم » ..

والدكتور فلتاؤوس عنصر نشط ، ومجتهد ، كما تقول عنه تقارير الجهات التى يعمل لها .

ولكل مجتهد نصيب !

□□□

والدكتور فلتاؤوس ليس وحده ..

هو فقط مثل .. وهناك أمثاله كثيرون فى أمريكا وأوربا ..

يقدمون الخدمات بالجملة والقطاعى لكل من يريد أن يهاجم مصر سياسيا وإعلاميا .. هم يعرفون شيئا عن مصر .. وهم مصريون .. فالكلام منهم يمكن توظيفه ويمكن تصديقه ..

واحد من أمثال الدكتور فلتاؤوس فى فرنسا كان وراء برنامج للتليفزيون الفرنسى عن مصر ، ظهر فيه قداسة البابا يتحدث عن الحريات التى يعيش فيها الأقباط والمسلمون كشعب واحد فى مصر ، وظهر الدكتور ميلاد حنا يتحدث عن معاناة الأقباط وعددهم فى المناصب القيادية والخط الهمايونى الذى يضع قواعد لبناء الكنائس ، ثم ظهرت أسرة مسلمة تعيش في مستوى اقتصادى مرتفع ليقول المذيع : هكذا يعيش المسلمون فى مصر ، ثم ظهرت عائلات وأطفال أقباط فى حى الزبالين فى حالة قذرة وصاح المذيع : وهكذا يعيش الأقباط فى مصر ..

ولم يقل معد البرنامج : إن الأغنياء فى مصر فيهم أقباط ومسلمون ، وإن الفقراء فيهم أيضا أقباط ومسلمون .. فالمصريون فى الفقر والغنى

سواء .. ولو أراد مائة ألف مثل لتأكيد هذه الحقيقة لوجدها فى لحظة واحدة ..

● وواحد آخر من أمثال الدكتور فلتاؤوس كان وراء تقرير قدمه عضو بمجلس العموم البريطانى منذ سنوات هو السيد ديفيد الدون عن وضع الأقباط فى مصر ، وعقد مؤتمرا صحفيا لعرض هذا التقرير ، وقال العضو فى مؤتمره الصحفى : « شكرا للمجهود الذى بذله بعض الأقباط المصريين فى لندن » .

● وواحد آخر من أمثال الدكتور فلتاؤوس شن هجوما ضاريا على قبطى مصرى معروف هو الدكتور أدوارد غالى الذهبى رئيس هيئة قضايا الدولة السابق لأنه الف كتابا عن سماحة الإسلام عبر عصور التاريخ مع غير المسلمين ..

● والدكتور فلتاؤوس أنشأ كيانا جديدا أعطاه صفة دولية ليكتسب هو أيضا مكانة دولية ويرتفع قدره فى بورصة أمريكا .. هو « الاتحاد العالمى للهيئات القبطية » فى عام ١٩٩٤ بين الهيئات القبطية فى أمريكا وكندا واستراليا وأوربا ..

وليس هذا كل شىء ..

ففى الجعبة الكثير .. !

□□□

ظهرت فى مصر مراكز للبحث العلمى ، تدفع للباحثين مكافآت سخية جدا ، وتحدد الموضوعات التى تسعى إلى الحصول على معلومات وبيانات وأرقام عنها ، ويشرف عليها أجانب أو مصريون يحملون جنسية أجنبية ، وتتلقى هذه المراكز أموالا من الخارج ..

ومنذ عامين حاول مركز للبحث العلمى (قطاع خاص !) عقد مؤتمر دولى عن الأقليات فى العالم ، لبحث وضع البربر ، والأكراد والأقباط فى مصر .. وكان أستاذنا محمد حسنين هيكل أول من تنبه إلى هذا الشرك وكتب مقالا دخل التاريخ قال فيه : إن الاقباط ليسوا أقلية فى مصر ، ولكنهم جزء من نسيج هذه الأمة ، وجزء من كيان مصر ، وليست لهم خصوصية تجعلهم ينفصلون عن شعبهم إلا أنهم يعبدون الله فى الكنيسة ، والمسلمون يعبدون الله فى المسجد ، وفى غير ذلك فهم من أصل واحد ، وثقافة واحدة ، وحياة اجتماعية واحدة ، وهم يعيشون معا دون تفرقة ، فلا ينطبق عليهم وصف الأقلية ، وبعد هذا المقال المشهور ظهرت مقاومة عنيفة لهذا المؤتمر من اليمين واليسار ، ولكن المركز الذى ينظم المؤتمر كان إصراره على عقد المؤتمر أقوى من كل اعتراض ، فقرر عقد المؤتمر فى قبرص ، ودعا إليه عددا من الباحثين المصريين ليناقشوا أوضاع الأقباط كأقلية ، وكانت الدعوة تشمل الانتقالات بالطائرات والإقامة فى فنادق خمس نجوم وخلافه ، ومع ذلك لم يجد المصريون المشاركون فى هذا المؤتمر فى أنفسهم القدرة على الكذب علنا فى مؤتمر عام ، فتقرر استبعاد مناقشة موضوع الأقباط المصريين فى الاجتماعات العامة للمؤتمر ، والاكتفاء بدراسته على حدة بين المصريين فقط(!) ومع كل هذه المحاولات كان رأى المصريين المشاركين هو أن الأقباط المصريين ليسوا أقلية ، ومع ذلك صدرت توصيته بضرورة اعتبار الأقباط فى مصر ضمن الشعوب التى تحتاج إلى رعاية وحماية الأمم المتحدة (!) .

ولم يدرك أحد أن هذه خطوة متقدمة بعد خطوات وجهود الدكتور فلتاؤوس وأمثاله فى أمريكا وأوربا ، خطوة لتصعيد الموضوع إلى حد استدعاء التدخل الأجنبى ممثلا فى الأمم المتحدة .. والأمم المتحدة يعنى الولايات المتحدة ..

وبعد هذا المؤتمر كتب الدكتور مجدى سامى زكى المصرى المهاجر فى فرنسا والذى أصبح السكرتير العام للاتحاد القبطى الأوربى يقول : إن الاقباط فى مصر أتعس أقلية فى العالم ، والأمم المتحدة ترعى كل أقلية فى العالم ماعدا الأقباط ، وقد فتشنا فى مشارق الأرض ومغاربها لنجد شعبا واحدا يتألم كما يتألم الشعب القبطى فى مصر فلم نجد ، فليس فى إمكان القبطى أن يتزوج مسلمة ، بل إن وضع القبطى فى مصر أتعس من وضع الفلسطينى تحت الاحتلال الإسرائيلى ، فالفلسطينى فى غزة كان فى إمكانه رمى الحجارة على الجيش الإسرائيلى ، ولم نر قبطيا يرمى الحجارة على متأسلم ، وإذا جرح الفلسطينى إسرائيليا قد يحرق الجيش الإسرائيلى بيت هذا الفلسطينى فقط ، أما إذا دافع قبطى عن نفسه أمام اعتداء المتأسلمين فإنه تحرق متاجر ومنازل الأقباط الذين لم يشتركوا فى هذا الدفاع الشرعى عن النفس كما حدث فى طما .. والأقليات فى العالم يتحالفون مع قوى عالمية .. فالمسلمون فى البوسنة متحالفون ليس فقط مع البلاد العربية والإسلامية بل مع منظمات حقوق الإنسان العالمية فى حين أن الأقباط لا يتحالفون مع أحد ، حتى أن أدوارد كين وصف الأقباط بأنهم « أقلية وحيدة » ومن المفارقات الغريبة أن المثقفين فى مصر يدافعون عن كل شعوب الأرض إلا الأقباط كما صرح بذلك الدكتور سعد الدين إبراهيم إذ قال : « إن البعض يتشدق بالدفاع عن حقوق الأقليات فى كشمير وبورما وخمسين دولة أخرى فيها أقليات عربية أو إسلامية ، والأولى بهؤلاء أن يناقشوا حقوق الأقليات فى بلدانهم » (انظر جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٤/٤/٢٣)

أكثر من ذلك يقول الدكتور مجدى سامى زكى : إن اضطهاد الأقباط فى مصر صادر من الدولة ، والحكومة المصرية لم تتحرك لحماية الأقباط من الاعتداءات المتكررة الواقعة عليهم ، ولم تتحرك لمقاومة الجماعات

الإرهابية المتأسلمة إلا بعد الاعتداء على السياح ، وضرب الاقتصاد القومى ، والاعتداء على كبار رجال الأمن ، والحكومة المصرية تترك التليفزيون والصحافة الحكومية ودور النشر المحترمة لتنتقد وتأخذ راحتها فى نقد المسيحية والانجيل وأهل الصليب ، فى حين أنه غير مسموح لأى مخلوق أن يبدى بأدنى تحفظ رأيه على الإسلام والقرآن ومحمد وأهل الهلال . والدولة المصرية هى التى تستبعد الأقباط من الوظائف القيادية أو التمثيلية . والدولة المصرية تحرم الأقباط من الالتحاق بكليات الأزهر .. وحماية الأقباط فى مصر أن يظلوا بلا حماية (!) ولا يكفى معالجة القضية القبطية فى جمعية الوحدة الوطنية ، فهذه الجمعية كجمعية الرفق بالحيوان فى حاجة إلى حماية .. وإذا كانت سياسة بعض مثقفى اليوم الإنكار وإخفاء الجراح ، فسياسة الدولة هى : « اللى مش عاجبه يخبط رأسه فى الحيط » .. ! فهل نلوم الأقباط بعد ذلك إذا طالبوا بحماية الأمم المتحدة .. ؟

هذا ما يقوله مصرى مهاجر اسمه الدكتور مجدى سامى زكى يعيش فى فرنسا ..

والحديث ملىء بكل ماهو مطلوب فى الخارج ..

مصر دولة عنصرية .. الأقباط أتعس أقلية .. لماذا لا يدخل الأقباط كليات الأزهر ؟ .. ليس فى مصر حرية دينية .. اعتداء على حقوق الإنسان .. وأخيرا استدعاء للقوى الأجنبية لحماية الأقباط .. وهذا هو المطلوب .. وصلت « البضاعة » كاملة واستحق الثمن .. !

□□□

مهاجر آخر : منير بشاى ..يسخر من الشعار الذى يحلو للقادة الأقباط أن يرددوه وهو : « أنا مسيحى دينا ومسلم وطنا » ..ويتساءل مستنكرا :

هل بهذا الشعار يعلن هؤلاء السادة قبولهم أن يُحكموا على أساس الشريعة الإسلامية بكل أحكامها وحدودها .. ؟ ومعنى ذلك أنهم يوافقون على أن المسيحيين مواطنون من الدرجة الثانية ، وأنهم أهل ذمة تفرض عليهم الجزية .. ثم يطلب منير بشاى من المسيحى المصرى أن تكون المسيحية هى ديانته ، والمسيحية هى وطنه أيضا .. !

وليس هو فى ذلك وحده ..

هناك ما هو أكثر ..

القس اغسطنيوس حنا يقول : إن يهوديا فقيرا ذهب إلى الحاخام يشكو له سوء الحال حتى أنه يسكن غرفة واحدة ضيقة مع زوجته وأولاده الأربعة ولا يكفى دخله الخبز فقط ، وسأل الحاخام النصيحة فقال له : اشتر خنزيرا ودعه يعش معك فى الحجرة مع أولادك وزوجتك .. ونفذ اليهودى نصيحة الحاخام فتطور حاله إلى أسوأ حال .. الخنزير رائحته كريهة .. ويأكل أكل الأولاد ويزحم الحجرة .. ويحدث أصواتا مزعجة .. وكل يوم يحطم شيئا فى الحجرة .. ولم يستطع اليهودى ولا زوجته ولا أولاده أن يذوقوا طعم الراحة لحظة واحدة .. فعاد اليهودى يشكو إلى الحاخام .. عندئذ قال له الحاخام : بع الخنزير .. وباع اليهودى الخنزير ، وبعدها تنفس الجميع الصعداء وشعروا بالراحة ..

وهكذا الحل اليهودى .. تجاهل المشكلة الأصلية ، واختلاق مشكلة جديدة تضاف إلى المشكلة الأولى ، ثم يعود الوضع كما كان ، ويبدو أن الإنسان حل مشاكله ، والحقيقة أنه استسلم للمشكلة الأولى ..

يقول القس أغسطنيوس حنا : إن هذه القصة تنطبق على الأقباط فى مصر تماما ..

حتى القس أغسطينوس حنا الذى ذهب ليقدم الوعظ قدم حالة مصر للبيع وننزهه طبعا عن قبض الثمن .. باع بلا ثمن !

الهيئة القبطية فى أمريكا التى يرأسها الدكتور شوقى فلتاؤوس كرئيس هيئة نشطة .. غنية .. وتستطيع أن تنشر الكتب والمطبوعات .. وتدفع تكلفة المؤتمرات والاجتماعات .. وتعرّف نفسها بأنها « هيئة سياسية هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان القبطى فى وطنه مصر .. وأنها تملك – والحمد لله – كل وسائل الاتصال بجميع الجهات المسئولة فى العالم كله ! ونشاطها يتركز أساسا فى نشر قضية الأقباط على الرأى العام العالمى ، والاتصال برجال السياسة ومنظماتها فى كل مكان ، وبالحكومات المعنية فى كل العالم ! ، والمطالبة المستمرة الدؤوب على تحقيق العدالة والمساواة للإنسان القبطى على أرضه ، كذلك وفى نفس المسار ، التصدى لأى عمل يمس الكنيسة القبطية فى مصر ، مذبح الرب فى مصر .. وقيادات الكنيسة .. ونحن نحمل فكرا ووسائل اتصال ، ورسائل الهيئة القبطية التى تصدرها لكل أنحاء العالم هى الآن المستند الوحيد أمام القضاء الأمريكى للراغبين فى الحصول على اللجوء للولايات المتحدة ، وجميع المحامين الأمريكان ، وفى كل قضية يطالبوننا بهذه المستندات ، وأعمال الهيئة عديدة بعضها منشور ، والباقى لا يعلن عنه لحساسية الموضوع » !

هذه هى أهداف الهيئة القبطية فى أمريكا كما أعلنتها فى مجلتها « الأقباط » :

● هى هيئة تملك كل وسائل الاتصال بالجهات المسئولة فى العالم كله .. ولم تقل طبعا ما هى هذه الجهات المسئولة !

• وهى على اتصال برجال السياسة والمنظمات والحكومات الأجنبية !

• إنها تعد منشورات ورسائل لتكون المستندات أمام المحاكم الأمريكية للراغبين فى اللجوء للولايات المتحدة !

• جميع المحامين الأمريكيين يحصلون من هذه الهيئة على المستندات عن الاضطهاد والتصفية والتطهير العرقى للأقباط فى مصر .

• القضاء الأمريكى يعتمد على تقارير هذه الهيئة وهى المستندات الوحيدة التى يمكن تقديمها !

بعد ذلك كله هناك خطوط كثيرة يجب وضعها تحت الكلمات التى تقول : إن القليل من أعمال هذه الهيئة معلن ، أما الباقى فلا يعلن عنه .. لماذا ؟ .. لحساسية الموضوع .. ما هو الموضوع ؟ .. وما هى الحساسية ؟ .. هل هناك ما هو خفى أكثر مما هو منشور .. وماذا يدور فى الخفاء ؟ ؟

لا أحد يعرف .. ويكفينا أن الهيئة لها أعمال فى الخفاء لا تعلن عنها ..

ويقول بيان الهيئة القبطية فى أمريكا أيضا « إن لها فروعا تغطى ٥٠ ولاية أمريكية وفروعا فى كندا واستراليا وأوروبا ، وليس مقرها فى جيرسى إلا المكتب الرئيسى للهيئة ، وفيه دوران كاملان لإقامة الأقباط القادمين من مصر لأول مرة ، وتستقبلهم الهيئة وتمنحهم إقامة مفروشة مجانية إلى حين الحصول على عمل ، وهذا العمل عمل فرعى من أعمال الهيئة وليس أساس عملها . وتقوم الهيئة بإصدار نشرات دورية وآلاف من أعداد المجلة وتوزعها على جميع أنحاء العالم ، ويتكلف ذلك آلاف الدولارات (الحقيقة أن مثل هذا العمل يتكلف ملايين) وكذلك تعبئة المجلة فى ظروف وإرسالها

إلى مكتب البوستة للتصدير ، لا تتعجب إن قلت لك إنه يكلف الآلاف أيضا (تكاليف العمالة فقط) فلم يحدث أن تبرع أحد هؤلاء الشباب لمساعدتنا مجانا » .

هذه هي حقيقة الهيئة القبطية فى أمريكا كما تكشفها الهيئة نفسها . واقرأوا السطور السابقة مرة أخرى من فضلكم كلمة كلمة .. فإن وراء الكلمات معانى مذهلة !

ونأتى إلى الموضوع الأصلى : أقباط المهجر ..

هل كل الأقباط المصريين فى الخارج يقولون هذا الكلام ؟ ..

هل كلهم يحاربون بلدهم ؟ ويقدمون المستندات التى يؤلفونها إلى المحاكم لإدانة مصر ؟ ويتصلون بجهات وحكومات أجنبية ؟ ويضعون أنفسهم فى خدمة مخطط لحصار سياسى على مصر فى ظرف دقيق لا يجهله أحد فى الداخل أو الخارج ؟

هل كل أقباط المهجر يسعون إلى استعداء الدول والحكومات والشعوب الأجنبية على مصر وحكامها وشعبها ؟

وهل كل أقباط المهجر فى هذه الهيئة التى تملك ٥٠ فرعا فى أمريكا فقط وتستضيف كل من يهجر مصر إلى أمريكا ؟

تتلقفه وتنفق عليه وتوفر له المأوى والطعام مقابل تجنيده والقيام بعملية غسيل مخ .. ليتحول من مجرد مهاجر جاء إلى أمريكا بحثا عن فرصة أفضل للحياة إلى جندى يحارب بلده وضد شعبه ..

أسئلة محيرة لا أستطيع الإجابة عنها ..

وإن كنت – دون تفكير – أقول : إن المصرى مصرى فى الداخل والخارج .. لا يبيع أهله ووطنه حتى بوزن الأرض ذهبا ..

□□□

كان قداسة البابا – كعادته – كريمًا وواسع الصدر وأنا أضع أمامه حيرتى .. وكان أيضا صريحًا جدا فى إجابته .

طالت الجلسة لأكثر من خمس ساعات وبقلب مفتوح أكد على مجموعة محاور فى حديثه :

الأول : أن بعض أقباط المهجر يتناولون شئون الأقباط بالمبالغة الشديدة ويتصورون أن المبالغة تعكس الحماس والمحبة لمصر وأهلها ، وربما يحرك البعض شعور بالذنب ، لأنه ترك أهله وذهب بعيدا حيث الثراء والزوجة الأجنبية والجنسية الأجنبية ، ويسعى باللاشعور إلى تعويض هذا الشعور بالذنب بالمبالغة فى إظهار الولاء والحرص على شئون الأقباط ..

ثانيا : أن بعض أقباط المهجر يحمّلون الحكومة مسئولية الإرهاب ، وهذا ظلم للحكومة ، لأن الحكومة تطارد الإرهاب وتحاكم العناصر الإرهابية ، فنحن جميعا فى مصر – مسلمين وأقباطا نهاجم الإرهاب .. نعم ، أما أن نهاجم الحكومة بسبب الإرهاب فلا .. هذا ظلم للحكومة ! ..

ثالثا : أننى أؤكد ما سبق أن أوضحته لكم فى لقاء سابق أننى أرفض تماما فكرة إدخال الأجانب فى شئوننا الداخلية تحت أى ادعاء وبأى حجة ، وهذا موقف قبطى قديم وقفته الكنيسة ووقفه أقباط مصر حين أرادت بريطانيا التدخل تحت ستار حماية الأقليات فكان الأقباط أول الرافضين للتدخل الأجنبى وقالوا : إنهم فى وطنهم ، ووسط شعبهم ، لا يحتاجون إلى حماية

خارجية .. أكثر من ذلك حين كانت الجمعية التأسيسية لوضع دستور ١٩٢٣ تبحث وضع الأقباط اقترح بعض المسلمين من أعضاء اللجنة النص فى الدستور على نسبة عددية للأقباط فى مجلس النواب والشيوخ ، فجاء الرفض القاطع من الأعضاء الأقباط فى اللجنة وكانوا بذلك يعبرون عن أقباط مصر جميعا ..

رابعا : أن بعض أقباط المهجر ينشرون كلاما لا نوافق عليه ، ونرى أنه يضر ولا ينفع ، وهم يفعلون ذلك دون استشارة الكنيسة أو الرجوع إليها ، وهناك تنظيمات فى أمريكا وأوربا تعمل خارج الكنيسة ولا صلة لها بالكنائس . فالكنائس تصدر مجلات باسمها تتضمن مواعظ وإرشادات وموضوعات روحية وأخبار ونشاط الكنيسة ، ولا يمكن أن ننشر هجوما على مصر بأى حال أو بأى صورة ..

خامسا : أن بعض أقباط المهجر يهاجمون الكنيسة ، وعلى سبيل المثال دخل بعض الأقباط فى منازعات قضائية مع الكنيسة المصرية ، لأن البابا أصدر قرارا بنقل راعى الكنيسة ، ورأوا هم أن تعيين ونقل الكهنة والقسس من اختصاصهم وليس من اختصاص سلطات الكنيسة المصرية ، كما هو متبع فى قانون الكنائس الأمريكية ، حيث يتولى شعب كل كنيسة تعيين وعزل راعى الكنيسة ، ورفعوا قضية ضدنا أمام المحكمة ، ولما خسروها رفعوا الأمر إلى محكمة استئناف فخسروها ، لأن المحكمة الأمريكية تفهمت الوضع فى الكنيسة المصرية على أنه مختلف عن الوضع فى كنائس أمريكا .. الكنيسة عندنا هيراركية ، أى أن السلطات الكنسية متدرجة فى درجات داخل التنظيم الكنسى ..

المهم أن بعض أقباط المهجر لم يجدوا ما يمنعهم من أن يقفوا خصوما فى المحاكم ضد الكنيسة .. ربما لأنهم يرون أن هذه هى الحرية كما يشاهدونها فى أمريكا ويريدون تقليدها بالخروج على كل السلطات ، وربما لأنهم بعيدون ويشعرون بالانفصال والاستقلال .. وربما لأسباب أخرى ! ..

ولذلك أنا أريد فى هذا الحديث أن أوضح عبارة أقباط المهجر التى يطلقها البعض وكأنها تعبر عن كتلة واحدة بينها تجانس واتفاق ..

وقال قداسة البابا :

إنهم يتحدثون عن « تهميش الوضع القبطى » كلما قرأوا فى الصحف حركة ترقيات وتعيينات وعدّوا أسماء الأقباط وأسماء المسلمين . ولكن هذا لا يعكس القضية . الأقباط تاريخيا لا يهاجمون الحكومة .. عقيدة عند الأقباط أنهم لا يقفون ضد الحكومة مادامت الحكومة لا تحاربهم فى ديانتهم . هناك عقد اجتماعى قديم جدا فى مصر .. الأقباط يؤيدون الحكومة ، ولم يحدث أبدا أن وقف الأقباط ضد الدولة الا فى عهد الدولة الرومانية . الآن نجد أقباطا فى أحزاب المعارضة ، ونجدهم أيضا فى الحزب الوطنى ، والذين يعارضون يعارضون من موقف سياسى كمصريين وليس من موقف قبطى . مكرم عبيد عندما هاجم النحاس لم يكن قبطيا ضد مسلم ، ولكنه كان زعيم الكتلة ضد زعيم الوفد .. اختلاف سياسى لا شأن للدين فيه .. ومعروف أن مكرم عبيد كان له أصدقاء وأتباع وأعضاء فى حزبه من المسلمين أكثر من المسيحيين ! ..

وقال قداسة البابا :

أما من ناحية هجومهم على الدولة وعلى الرئيس مبارك فإن قانون الكنيسة

الذى يعبر عن الكيان القبطى يتضمن أن الكيان القبطى ليس كيانا مستقلا عن كيان مصر ككل ، ولكنه جزء من هذا الكيان ، وموقفنا من الرئيس مبارك معروف ، وقد أعلناه فى كل مناسبة ، وآخرها فى الاستفتاء الأخير على رئاسة الجمهورية ، وأصدرت بيانا بعنوان « بكل الحب » وعن ثقة وخبرة نبايع مبارك رئيسا . وقلت فيه إنه ليس شخصا جديدا علينا ، نتوقع أن يكون موفقا فى هذه المسئولية .. بل هو إنسان اختبرناه على مدى اثنى عشر عاما فى فترتين سابقتين لرئاسته للجمهورية ، ولمسنا فيه الكفاءة والجدارة . بل رأينا مقدار تعبه وجهده لأجل مصر . وكان وجها مشرفا لمصر نفتخر به ، وقد حفر فى ذاكرتنا صورة رائعة للبذل والجهاد فى كل قضايا الشرق الأوسط وأفريقيا وشتى البلاد التى كانت تحتاج إلى تأييده ..

لقد تسلم قيادة بلادنا وهى فى حالة يؤسف لها من الناحيتين : الداخلية والخارجية ، وبدأ فى إعادة رسم صورتها من جديد . ولعل من أهم ما قام به إعادة العلاقات الطبيعية بين مصر وسائر البلاد العربية وكثير من البلاد الغربية . وصارت مصر موضع ثقة من الجميع ، وصار رئيس مصر عاملا فعالا فى قضايا المنطقة ، ووسيطا بين أطرافها فى عديد من المواقف السياسية الحرجة ..

ولا ننسى مطلقا أنه فى أيام رئاسة مبارك لمصر ، عادت الجامعة العربية اليها ، بعد أن تغربت عنها سنوات طويلة ، واختير مصرى ليكون الأمين العام للجامعة العربية . وصارت مصر هى المركز الذى تناقش فيه جميع قضايا الأمة العربية ، العامة والتفصيلية . ولا ننسى أيضا الموقف الريادى لمصر فى مشكلة الخليج . ولا ننسى أيضا زيارات الرئيس مبارك لتلك

المنطقة ، وعلاقات المودة بينه وبين رؤساء دولها ، وتبادل الرأى معهم فى شتى القضايا الدولية ، وزيارات هؤلاء الرؤساء لمصر ، وما تم من اتفاقات وعلاقات عادت بالخير على بلادنا . وقد ظهر فى حادث الزلزال ، كيف وقفت البلاد العربية معنا ، وساهمت فى علاج تلك الكارثة ، وما ساهمت به أيضا فى القيام بمشروعات مهمة فى مصر ..

وكان لنجاح سياسة الرئيس المبارك الخارجية ، أن اختير مرتين ليكون رئيسا لمنظمة الدول الأفريقية . وقد حضرت الحفلة الافتتاحية للدورة التاسعة والعشرين لهذه المنظمة . وكان قلبى يقفز حبا وافتخارا بمصر ، وأنا أسمع كلمات التقدير والاحترام من رؤساء الدول الأفريقية للرئيس حسنى مبارك ، عن جدارة وخبرة .. وحقا كم ساهم الرئيس حسنى مبارك فى حل القضايا الأفريقية ، وكم دافع عنها فى ديونها وفى حرياتها . ومازال حديث الأمس القريب يرن فى آذاننا عن موقفه من تهنئة اريتريا باستقلالها ، والمساهمة فى الدفاع عن الصومال ..

والموقف الهادئ الرصين فى التعامل مع السودان ، وفى إعادة العلاقات الأخوية مع ليبيا .. ومواقف أخرى كثيرة مع دول أفريقيا . ولعلنا نسأل ههنا ونقول : ألا يُختار رئيسا لمصر ، هذا الذى اختارته كل دول أفريقيا وبالإجماع ، ليكون رئيسا لمنظمتها ؟ ! ..

وكان الرئيس مبارك مباركا حكيما أيضا فى علاقاته مع دول الغرب . وظهر هذا واضحا فى تأثيره على مديونيات مصر . حيث تنازلت بعض هذه الدول عن ديونها كاملة ، وتبلغ المليارات من الدولارات . وتنازلت دول أخرى عن نسبة كبيرة من هذه الديون ، وتنازلت دول عن فوائد

الديون ، أو قبلت جدولتها . وهكذا استطاع الرئيس مبارك بسياسته وباتصالاته أن يرفع عن كاهل مصر هذا الثقل الاقتصادى الخطير الذى كنا عاجزين فيه عن دفع مجرد فوائد الديون ، وكان يستهلك رصيدنا من العملة الصعبة ، ويدخلنا فى مشاكل مالية نعجز عن حلها ..

إننا لا يمكن أن ننسى للرئيس علاقاته الدولية الناجحة ، وما كان لها من نتائج عملية لخير مصر . لا يمكن أن ننسى أسفاره الكثيرة الناجحة ، ورحلاته الطويلة فى سبيل مصر ، ومن أجل قضية السلام فى الشرق الأوسط ، واتصالاته بكل الأطراف المعنية ، وكلها تحترم رأيه ، وتقبل وساطته بل تسعى اليها ، واثقة من عمق دراسته للقضايا ، ومن إخلاصة فى حلها ..

نحن لا ننسى مطلقا نجاح الرئيس مبارك فى حل مشكلة طابا ، فى هدوء وثقة ، وبوضع قانونى دولى . وكذلك مساهمته الحربية فى حل مشكلة الكويت ، وإرساله قوات للمساهمة فى تأييد اخوتنا فى البوسنة والهرسك .. إنه فى كل هذا ، لم يكن فقط مهتما بمشاكل مصر ، إنما أيضا بمشاكل غيرها من البلاد ..

أما من جهة مصر ، فقد كان مثيرا لإعجاب الكل حينما قال « اخترت الطريق الصعب » . وهكذا بدأ بالإصلاح السياسى ، والإصلاح الاقتصادى ، وإصلاح البنية الأساسية فى مصر ..

إنه بلا منازع أكثر رؤساء مصر فى عصرنا الحاضر اهتماما بالديمقراطية وحرية الرأى . فمن سياسة الحزب الواحد فى بدء الثورة منذ أربعين عاما ، إلى تعدد الأحزاب حاليا ، وحرية الصحافة التى ما كان يحلم بها أحد من

قبل . حتى أنه قد صار سهلا على أى كاتب أو صحفى أن يهاجم كما يشاء من يشاء ، حتى الرئيس نفسه ، دون أن يصيبه أى ضرر . وبقوة أعصاب عجيبة ، يحتمل الرئيس مبارك كلمات مهاجميه ، دون أن يثور أو ينفعل . وهذه صفة سامية من مميزات الرجل ، لم توجد إطلاقا فى سابقيه . ونحن نطمئن حينما يكون رئيس الدولة هادئا فى أعصابه ، لا يتخذ قرارا فى حالة انفعال ، أو سبب شخصى . إنها نعمة من الله ، وهبها للرئيس مبارك ..

وكما يتصف الرئيس مبارك بالاحتمال وهدوء الأعصاب ، والارتفاع عن مستوى المسائل الشخصية ، كذلك يتميز بالصراحة والمصداقية ، ويتميز أيضا بعفة اللسان ..

لقد صارح شعبه بمشكلة الديون الخطيرة ، وما كنا نعرفها من قبل . وصارح الشعب فى المسار الاقتصادى الجديد وارتفاع الأسعار . وكان يشرح كل شىء .. لم يحدث فى يوم من الأيام أنه وعد الشعب بوعود براقة زائفة ، يمكن أن تكتشف فيما بعد ، ويكون لها ردود فعل سيئة . بل كان كعهده صريحا وصادقا ..

وفى كل ما صادفه من مشاكل معقدة ، نراه باستمرار متفائلا . إنه لا ينكر عمق المشكلة . ولكنه لا يرى أن هناك مشكلة بلا حل . إنها قد تأخذ مدى زمنيا ، ولكن لابد أن تحل . لقد جابه مشكلة البطالة ، التى تشكو منها كثير من بلاد العالم ، وجابه مشكلة التضخم السكانى ، وجابه أيضا مشكلة الإرهاب التى انتشرت فى كثير من البلاد العربية والآسيوية والغربية .. وهو يتعامل مع كل تلك المشاكل فى هدوئه المعروف ، وفى تفاؤل ، ويتخذ الخطوات اللازمة بدراسة وفى تأنٍ . ولا ننسى موقفه الأبوى النبيل فى مشكلة الزلزال وحلها ..

إن الدراسة والتأنى من صفات الرئيس مبارك . فهو لا يلجأ إلى أسرع الحلول ، إنما إلى أكثرها إتقانا وفاعلية ، وأقلها فى ردود الفعل المتعبة . وهذه أيضا صفة جميلة فى الرئيس مبارك ..

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن الإنجازات العديدة التى تمت فى عهده .. عهد الرئيس مبارك ، فقد تحدث عن هذه الإنجازات كثيرون . ولكننا فى عجالة وفى تلخيص كبير ، نذكر اهتمام الرئيس بعنصر الإنتاج ، سواء فى المجال الصناعى أو الزراعى ، وفى مجال الكهرباء والبترول . فقد اتسعت الرقعة الزراعية جدا بمئات الآلاف من الفدادين ، ودخلت الكهرباء إلى القرى ، واستخدمت فى التكنولوجيا الحديثة . وكثرت المصانع ، وشجع الرئيس النشاط الخاص ، مع بقاء إشراف الدولة على الصناعات الرئيسية فى القطاع العام . وقطعت الدولة شوطا واسعا فى إصلاح المسار الاقتصادى ، الأمر الذى شهد به صندوق النقد ، وصار مثالا يُقتدى به . واهتم الرئيس أيضا بوسائل النقل فى البلاد ، وارتفع مستوى الاتصالات التليفونية والبرقية وغيرها . وكثرت المدارس ، واهتمت الدولة بالتعليم وإعادة النظر فى مناهجه والإشراف عليه لتأدية رسالته التربوية على أكمل وجه ..

إننا نشكر الرئيس على سياسته وإنجازاته وصفاته النبيلة ، وروحه الطيبة فى معاملاته . ومن كل قلوبنا ، وبثقة ضمائرنا ، نؤيد إعادة اختياره رئيسا للجمهورية للمرة الثالثة ، لصالح مصر ، ولاستكمال خطته الحكيمة فى النهوض بها ، واستمرارا للعلاقة الطيبة مع سائر الدول . وليكن الرب مع الرئيس مبارك ، يؤيده ويقويه ..

وقال قداسة البابا وهو يناولنى نسخة من البيان :

هذا هو موقفنا من الرئيس مبارك وسيظل هذا موقفنا ..

ثم قال :

أقباط المهجر مئات الآلاف منتشرون فى كل منطقة ، وكل حى ، وكل ولاية ، وليسوا مركزين فى منطقة واحدة ، وبالتالى فليس لهم وجود جماعى حتى نتحدث عنهم جملة واحدة .. ولا نستطيع أن نقول : إنه يمكن أن يكون لهم رأى واحد ، أو أن هناك فردا واحدا أو أفرادا يمكن أن يعبروا عنهم جميعا .. فهناك فرق بين أن نقول : « بعض أفراد فى المهجر يقولون كذا أو يفعلون كذا وبين أن نقول : إن أقباط المهجر بصفة عامة كما لو كانوا جميعا كتلة واحدة .. وهذا تعبير غير سليم بالنسبة لأى مجموعة من البشر ، فما بالك بمجموعة من الناس مهاجرين فى أزمان مختلفة ، ويعيشون فى أماكن متفرقة ، ولكل واحد ظروفه الخاصة التى هاجر فيها ، بعضهم هاجر راضيا ، وبعضهم هاجر ساخطا .. والسخط نفسه له أسباب كثيرة .. ربما لأنه فشل فى عمل .. أو فى زواج .. أو علاقاته مع المجتمع أو داخل أسرته .

وقال قداسة البابا :

يمثلنا فى المهجر كنائسنا هناك : فى أمريكا وأوربا حوالى ٢٠٠ كنيسة مصرية ، وكل واحدة منها لها راع مصرى ، ويتردد عليها الأقباط الذين يعيشون فى أماكن يمكنهم الوصول منها إلى مقر الكنيسة ، وهناك من يعيشون فى أماكن نائية ، أو فى أماكن ليس لنا فيها كنائس ، أو ليست لهم صلة أصلا بالكنيسة .

وقال البابا شنودة بعد لحظة صمت قصيرة :

لا ننكر أنه توجد بعض مشاكل ، ونريد حل المشاكل على المستوى الداخلى فى بلدنا ، ولا نقبل إطلاقا أن تحل هذه المشاكل عن طريق جهة خارجية ، أو أن تكون موضوعا للنقاش والبحث خارج الإطار الداخلى المصرى ، وفى مصر حرية ونستطيع أن نقول مانريد .. ليس فى مصر من يشعر بالخوف لأن له رأيا يتفق أو يختلف مع الآخرين .

ثم عاد قداسة البابا يكرر :

نحن نرفض أى حل لمشكلة يأتى من الخارج .. من أى جهة .. أو من أى دولة .. أو من أى هيئة .. ونرفض أن تكون المشاكل الداخلية وسيلة للضغط على الحكومة أو إحراجها أو أن يتحدث البعض فى الخارج عن إحراج مصر اقتصاديا من جهة المعونات ..

وساد الصمت لحظة فى القاعة الواسعة ثم علا صوت قداسة البابا كأنه يريد أن يسمع العالم كله صوته :

الذين يتدخلون فى هذه الأمور هم أشخاص حصلوا على هوية أخرى غير الهوية المصرية ، وماعادوا يحرصون على هويتهم الأصلية .. لذلك نعمل جاهدين فى كنائسنا على أن نغرس الانتماء فى الجيلين : الثانى والثالث من المهاجرين .. نحاول أن نجعل الأجيال الجديدة لا تنسى مصر ولا تتحدث عنها بسوء مهما تغربوا ومهما حصلوا على مراكز وفرص وأموال فى الخارج .

وساد الصمت مرة أخرى ..

وقال قداسة البابا بهدوء :

أنا الآن فى تفاهم مع الدولة من جهة حل كثير من المشاكل القائمة .

والدولة تتفهم وبكل محبة .. والدولة تعمل فى طريق إيجاد حلول للأمور التى تراكمت منذ زمن . مالدينا من مشاكل ليس وليد هذا العهد ، ولكنه من عهود قديمة . وما أسهل معالجتها ، وكل شيء قابل للإصلاح بالنية الطيبة . والكنيسة تعرف تماما كيف تشق طريقها فى حكمة وفى غير تهور .. وفى غير خطأ .

وقال قداسة البابا :

للأسف .. بعض هؤلاء الأفراد فى المهجر يهاجمون الكنيسة أيضا .. وبهذا يكون عنصر الانتماء بالنسبة لهم موضع تساؤل سواء الانتماء الكنسى أو الانتماء الوطنى .

وقال :

لا نقبل أن يكون البعض فى الخارج قوامين على الكنيسة ، أو يكون لهم حق الادعاء بأنهم يعرفون صالحها أكثر مما تعرف هى .

وقال :

ليت هؤلاء يأتون إلى مصر ، وينشرون أفكارهم هذه علانية ، بدلا من أن يتكلموا فى الخارج من بعيد ، وماذا يمنعهم من أن يأتوا إلينا ويقولوا مالديهم كما يشاءون ؟

وقال قداسته :

المشكلة أن بعضهم يبحث عن بطولة زائفة !

وقال :

يريدون حين ينفعلون هم أن ننفعل نحن أيضا .. يريدون إثارة جو

انفعالى .. أما الكنيسة فيهمها أن تحل جميع الأمور فى جو من الحكمة والهدوء ، لأن الحلول الانفعالية لا تليق بالوضع الكنسى .. ولذلك إذا لم تتمش الكنيسة فى جوهم الانفعالى يهاجمونها كما لو كان الانفعال والهجوم هما هدفهم ، ويريدون جر الكنيسة إلى هذا الجو .. هذا الانفعال منهم يأخذ أيضا أسلوبا من العنف فى التصرف .. وهذا كله خطأ .

وقال :

نحن نهاجم التطرف .. فكيف نسلك سلوكا متطرفا بالقول أو الفعل ؟ ولا تنس أيضا أن كل فعل له رد فعل ، والإنسان الحكيم يجب أن يحسب حساب ردود الفعل .. الحلول الانفعالية فيها نوع من الضغط .. ونحن لا نقبل أن تحل مشاكلنا عن طريق الضغط .. السيد المسيح لم يستخدم أبدا أسلوب العنف أو الانفعال أو الضغط .. وآيات الكتاب المقدس كثيرة فى هذا المجال .. فهل نخالف السيد المسيح والكتاب المقدس ؟

□□□

وقال قداسة البابا :

فى الإنجيل آية تقول : « أمور ذكرها أيضا قبيح » ومعناها أن هناك فعلا قبيحا يجب ألا يفعله الإنسان الصالح ، وهناك أمور لا يتناولها الإنسان المؤدب العاقل بالذكر .. حتى مجرد ذكرها والحديث عنها يتعارض مع سلوك الإنسان العاقل الصالح .. هناك بعض الناس لا يلتزمون بتعاليم الكتاب المقدس ويفعلون أفعالا قبيحة ويذكرون فى أحاديثهم أمورا قبيحة .. وهناك صحافة تفعل ذلك أيضا !!

وقال قداسة البابا :

مصر هى الوطن .. وكل شعبها هم الأهل والأصدقاء .. نعيش معا .. ونأكل معا .. ونشارك بعضنا بعضا فى الأحزان والأفراح ..

وقال :

إن أصدقائى من المسلمين لهم مكانة كبيرة فى قلبى فى كل مراحل عمرى .

□□□

ويستطرد قداسة البابا شنودة فيقول :

عندما كنت طالبا فى كلية الآداب كنت أحمل تقديرا ومحبة للدكتور على إبراهيم حسن أستاذ التاريخ الإسلامى ، وشقيقه الدكتور حسن إبراهيم حسن عميد الكلية ، والدكتور أحمد فخرى ، وعندما تخرجت اشتغلت بالتدريس فى شبين القناطر عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩ .. كنت مدرس تاريخ .. وكان الطلبة المسلمون يشاركوننى فى الأعياد المسيحية ويهدون إلى السعف فى أحد السعف .. وبعد أن دخلت فى السلك الكنسى ظلت صداقاتى مع المسلمين .. عندما كنت أسقف التعليم كان أعز أصدقائى قاسم طعيمة عضو مجلس الشعب واشترك معى فى الرد على الكاثوليك عندما أرادوا تبرئة اليهود من دم المسيح ، وظللت على علاقة بأصدقائى فى جماعة الشعراء العرب ، وكثيرا ما يزورونني فى البطريركية ونتبادل الحديث عن الشعر والأدب ..

وصداقة عمرى كانت مع الشيخ أحمد حسن الباقورى ، وكان بيننا توافق فى الآراء ، حتى أن أحدنا كان يتكلم فيقول له الآخر : اكتب اسمى معك فى آخر السطر !

ولى صداقة معروفة مع الشيخ محمد خاطر المفتى الأسبق ، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل ، وقبل أن يسافر إلى أمريكا زارنى وسألنى كيف يكون التعامل مع الأمريكيين ؟ وقلت له : سوف يطلبون منك أحاديث للتلفزيون والإذاعات أنصحك بطلب الأسئلة مقدما واحذف منها مالاتريد الإجابة عنه فهذا حقك ، وسوف يطلبون منك إلقاء بعض المحاضرات فليتك تعدها منذ الآن وغالبا ستكون عن الثقافة الإسلامية ، وعن الأزهر ونشاطه ، وعن تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة فى الغرب ، وربما يسألونك عن تطبيق الشريعة الإسلامية والحدود .

وعندما وصل إلى أمريكا وجد أننى طلبت من جميع الآباء الكهنة فى نيويورك وما حولها أن يكونوا فى استقباله فى المطار ويصاحبوه فى كل مكان ، ويكون موضع تقدير وإجلال من الجميع .. وعندما عاد شكرنى .. وهذا تقليد فى زيارات كل شيوخ الأزهر فى الخارج أن يجدوا الآباء الكهنة فى استقبالهم .

وقال :

فى زياراتى فى الخارج أحرص على زيارة المساجد والمراكز الإسلامية والالتقاء بالشيوخ ، وفى أستراليا أذكر أنى وجدت الأقباط يريدون تكوين اتحاد لهم فقلت : يجب أن يكون هذا الاتحاد للمصريين المهاجرين جميعا مسلمين وأقباطا ، واتفقنا على أن تكون الاجتماعات فى مقر جمعية ابو بكر الصديق ، وأن يكون المنسق هو باسيامبوس ممثل الجمعية القبطية .

وفى سوريا زرت مسجد أبو النور فى دمشق والتقيت فيه بالشيخ أحمد كفتارو مفتى سوريا والقيت محاضرة كان لها طابع الدين والسياسة معا ، وكان المسجد ممتلئا وهو من سبعة طوابق ، كان الحاضرون ٢٠ ألفا من المسلمين ، واستقبلونى مع الآباء البطاركة والمطارنة بترحيب كبير .. وهذا ماحدث أيضا فى لبنان .. حتى أن المفتى قال لى : أنت لست بابا الأقباط .. أنت بابا العرب ..

وذهبت إلى قانا مع مفتى الشيعة الشيخ محمد شمس الدين ، وشاهدنا معا آثار العدوان الإسرائيلى الذى قتل المسلمين والمسيحيين معا .. وقدمنا واجب العزاء للجميع .

وفى كل بلد أزوره أجد السفير المصرى والقنصل فى استقبالى ودعوتى وتنظيم احتفالات للقاء الشخصيات البارزة .. وأجد محبة وترحيبا .. حتى أن هناك صداقات تربطنى بهم .. ولا أنسى سفيرنا محمد شاكر فى بريطانيا .. ولا أنسى أننى مررت وأنا عائد من استراليا بسنغافورة وليس فيها أقباط مصريون ولاكنيسة ولا كاهن مصرى .. لم يكن لى إلا السفير وزوجته وأسرة السفارة .. وكانوا هم أسرتى يوما وليلة .. وكنا فى رمضان .. وتناولنا الإفطار والسحور معا فى جو عائلى وسهرنا سهرة شعرت فيها أننى وسط أهلى .. وسفيرنا سعد الفطاطرى حين كان فى السودان .. والسفيرة سهير زكى القنصل العام فى نيويورك .. والسفيرة مشيرة خطاب سفيرتنا فى جنوب أفريقيا .

□□□

وقال البابا شنودة : إن فى أمريكا أكثر من ٦٠ كنيسة .

تضم الأقباط المصريين .. ولكن أمريكا بلد واسع .. هناك أقباط مصريون يعيشون بعيدا عن أى كنيسة .. وهناك أقباط مصريون خرجوا متمردين على بلدهم وعلى الكنيسة ، وبعضهم يرى الحرية فى أمريكا فينبهر بها ويمارس الحرية بطريقة خاطئة تضر بلده وتضر بالكنيسة دون أن يدرى ، ولذلك جاءتنا بدع كثيرة من أمريكا نتيجة سوء استخدام الحرية ، ونحن لا نؤمن إطلاقا بالحرية المطلقة ، وإنما نؤمن بالحرية المنضبطة ، واستخدام الحرية استخداما خاطئا فى بلاد الغرب يصل بهم أحيانا إلى انحرافات خلقية وفكرية ، بعضهم جرى وراء الكحوليات والمخدرات والشذوذ الجنسى ، وهذه ليست حريات ، ونحن نرفض كل ذلك ، ونحاول الاعتناء بأبنائنا فى المهجر والمحافظة على هويتهم المصرية .

□□□

وقال قداسة البابا :

بعد وقوع حادث « أبو قرقاص » كان الرئيس مبارك فى زيارة إلى الولايات المتحدة ، وحاول بعض الأقباط هناك استغلال هذا الحادث فى إثارة البلبلة ، لكنى أرسلت لهم قائلا : « أرجو أن تفرقوا بين الإرهاب والدولة ، فعندما تقفون ضد الإرهاب فأنا معكم ، أما أن تقفوا ضد الدولة فهذا مالا نقبله ، لما فيه من ظلم لها ، فالدولة تعانى من الإرهاب ، وقد قتل الدكتور رفعت المحجوب وهو رئيس مجلس الشعب ، كما حاول الإرهابيون اغتيال عاطف صدقى وهو رئيس الوزراء ، وحسن الألفى وهو وزير الداخلية ، وصفوت الشريف وهو وزير الإعلام ، وكلهم مسلمون .

وقلت لهم أيضا : إن عدد الذين قتلوا من المسلمين أكبر بكثير من عدد الذين قتلوا من الأقباط ، وحذرتهم من خلط الأمور ، لأن البعض فى الخارج – بسبب تأثير هذه القلة المنحرفة – يعتقد أن مصر بلد متعصب ، وهذا غير صحيح ..

وأقول دائما : إن العمل بالخارج يحتاج إلى حرص شديد ، لأننا لو تحدثنا عن مشاكلنا فى الخارج فهذا الحديث شكوى ضد بلادنا ، ونحن لانريد أبدا أن نأخذ هذا الموقف ، وأنا أعمل على تهدئة الجو فى الخارج حتى لا يأتى بنتائج سيئة على مصر . والحديث فى الخارج عن اعتداء على الأقباط فى مصر يأتى بنتيجة عكسية لا ترضى إخوانى من المسلمين ، لأنه يربط بين الإسلام والإرهاب ، وسيقولون : إن رئيس الكنيسة فى مصر يشكو ، وهذا بالطبع لم ولن يحدث ..

وهناك أقباط كثيرون جدا جدا مخلصون لوطنهم حريصون على سمعته وكرامته ويدافعون عنه ضد الدعايات الصهيونية .. ولكن علينا أن نفكر : الذين باعوا الوطن لماذا لا يبيعون الكنيسة وكل شىء ؟ .. لقد خرجوا على الكنيسة وتمردوا عليها .

وقال البابا :

إن الإسلام معروف بالسماحة ، ولا أنسى أن كل المسلمين أدانوا ماحدث وسخطوا عليه ، ولا أنسى أن جنازة « أبو قرقاص » كان أغلب المشيعين فيها من المسلمين ، وأنا أرى أن موجة الإرهاب تتراجع ، والجماعات صاروا أقل خطورة ، وقد يقومون من حين لآخر بحادث إجرامى ليقولوا « نحن

هنا » ونحن نتحمل لأن الدولة معنا ، وتعمل بكل مالديها للقضاء على الإرهاب والتطرف .

□□□

حادث « أبو قرقاص » يستغله فريق الهوس الدينى المصرى فى أمريكا .. ماذا يقول عنه البابا شنودة ؟

إن شعب مصر كان وسيظل شعبا واحدا . ولن تستطيع قوة أن تفرق بين الأشقاء أبناء الوطن الواحد ، وإذا كان هناك من يسعى إلى إثارة الفتنة الطائفية ، ويجد استجابة من بعض ذوى النفوس الضعيفة ، أو ذوى النيات الخبيثة أو المنشقين على الإجماع ، فإن ما يفعلونه لا يزيد على أن يكون طلقات طائشة ، تحدث صوتا ، ولا تصيب هدفا .

كان قداسة البابا واضحا فى التعبير عن رؤيته لحادث « أبوقرقاص » فقال لى : إن الذين استشهدوا فيه ثمانية من الشباب كانوا يسبحون الإله الواحد الذى نعبده جميعا . وإن كنا نتألم لفراق هؤلاء الأحباء . لكننا نثق أن الرب اختار هذه الأرواح البارة لتنضم إلى زمرة الشهداء .. وفى غمرة هذه الأحداث أسجل أن الرئيس حسنى مبارك سارع بالعزاء ، وكان لكلماته تأثيرها الكبير . كما سارع بإصدار أمره إلى الداخلية بتعقب الجناة والإسراع بالقبض عليهم ، وطلب بنفسه من وزير الصحة العناية بالمصابين بالمستشفى والإشراف عليهم شخصيا .. وكان موقف رئيس الوزراء قويا وسريعا بإدانة هذه الجريمة ، وتعهد الحكومة بضبط المجرمين .. وكانت وقفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى جانبنا لها معناها العميق وتأثيرها فى تخفيف الآلام عن أسر الضحايا .. وكان معه وزير الأوقاف وفضيلة المفتى ورئيس

جامعة الأزهر .. ولم يكتفوا بأن قدموا إلينا مشاعرهم الصادقة بالمحبة ، ولكنهم ذهبوا جميعا إلى الفكرية بأبى قرقاص ، وعقدوا مؤتمرا شعبيا . وتلقوا العزاء بأنفسهم ، وهذا موقف وطنى تاريخى سنظل نذكره لهم بالتقدير .

وقال قداسة البابا : لا نستطيع أيضا أن ننسى موكب الجنازة المهيب بعشرات الآلاف من المشيعين مسلمين ومسيحيين . رددوا هتافات أعادت إلى الأجواء وحدة الصليب والهلال فى ثورة ١٩١٩ واختلاط دماء شهداء مصر من المسلمين والمسيحيين على أرض سيناء فى كل الحروب والمعارك . وآخرها حرب أكتوبر ١٩٧٣ المنتصرة .

سخط الجميع كان واضحا جدا على العمل الإرهابى .. ورجال أمن الدولة لم يضيعوا دقيقة واحدة ، وبذلوا كل ما فى وسعهم لمطاردة الجناة ، وتمكنوا من اصطياد واحد منهم فى ظرف أيام من الجريمة ولايزالون يبذلون جهدا قويا ومخلصا فى تعقب الجناة .. ورجال أمن الدولة هم أيضا بينهم وبين الإرهاب ثأر طويل وضحايا كثيرون .

وصحافة مصر الوطنية عكست أحاسيس صادقة بالاستنكار والرفض للجريمة والمجرمين ، وهاجمت كل الأقلام – دون استثناء – الإرهاب واعتداءاته وجريمته فى أبى قرقاص . وأجمع الكل – المؤيد والمعارض – من رجال الأحزاب على الوقوف ضد جرائم الإرهاب .. ورجال الإعلام فى الإذاعة والتليفزيون ، وقيادات الجمعيات والهيئات الإسلامية . هذه مواقف نذكرها ونشكرها ، ونسجل للجميع وقفتهم لحماية وحدة شعب مصر فى وجه المؤامرة الخسيسة .

وقال قداسة البابا : إن العمل الإرهابى يدعونا أن نتعاون معا . لا أن نتفرق أو ننقسم على بعضنا البعض .. نتعاون معا للوصول إلى حل عملى نتخلص به جميعا من عدوان الإرهاب . فهو عدو مشترك يهاجمنا كلنا ، وجرأته فى الاعتداء على أماكن العبادة أمر خطير .

□□□

وقداسة البابا معه حق . ولعلنا نذكر أن الإرهاب هاجم مسجدا فى الصعيد وقتل عددا من المسلمين أثناء الصلاة . وهذا دليل على أن الإرهاب لادين له .. الإرهاب مؤامرة موجهة إلى المجتمع كله دون تفرقة .. ولعلنا نذكر أيضا أن عدد ضحايا الإرهاب من رجال الشرطة أكثر من ضحاياه من المواطنين .. وأن ضحاياه من المسلمين أضعاف عدد ضحاياه من الأقباط .. ولذلك ننزه الإسلام من أن ننسب إليه هذه الجرائم التى لاتجد سندا لها فى دين أو أخلاق .

□□□

وفى هذا اللقاء استمعت من قداسة البابا إلى حديث يفيض بالحب لمصر وقائدها .

وقال : إن الإرهابيين يعيشون كالقطعان الشاردة . متنقلين من مكان إلى مكان أحيانا فى المغارات والجبال ، وأحيانا أخرى فى مزارع القصب أو الذرة ، أو فى أوكار غير معروفة ، أو فى بيوت سرعان مايغادرونها إلى غيرها ، وكلنا نرى ونلمس أن الدولة تطارد الإرهابيين وتدخل فى صراع معهم . وقد قلّ خطرهم كثيرا جدا عن ذى قبل . بعد أن تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم إلى الإعدام أو السجن ، وقتل بعضهم فى معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة كان من ضحاياها أيضا ضباط وجنود ، ومنهم من كان برتبة اللواء وهى أعلى رتبة .

قال قداسة البابا أيضا : إن سجل الإرهاب الأسود فيه حوادث بشعة كثيرة .. تؤكد أنهم قتلة ، وليسوا سوى قتلة مأجورين ..

وأضاف قداسته : إننى أقول لأبنائى : يجب أن نفرق بين إدانة الدولة ، وإدانة الإرهاب ، فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة ، والدولة فى صراع معه ، وإن كنتم تدينون الإرهاب فلن يلومكم أحد ، فكل المصريين يدينون الإرهاب ويقفون ضده ، أما من جهة الدولة فمن الظلم أن يقف أحد ضدها فى جريمة أبو قرقاص أو فى غيرها من الأحداث .. فالإرهاب عدو مشترك للدولة والكنيسة معا .. بل ينبغى أن نقف جميعا إلى جانب الدولة فى صراعها ضد الإرهاب الذى لاتنفرد مصر وحدها به ، بل يوجد فى بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع .

وحين سألت قداسة البابا : ماذا تقول للأقباط فى المهجر وخاصة فى أمريكا ؟ .. أجابنى على الفور : أقول لهم .. أحبُّ أن تكون صورة الأقباط باستمرار فى المستوى الروحى الذى كان لنا فى كل العصور .. وأقول لهم .. إننا نقف مع الرئيس حسنى مبارك بكل محبة وإخلاص ونصلى من أجل أن ينصره الله فى معاركه من أجل بناء وتنمية وحماية أمن مصر .. وأقول لهم .. كونوا إلى جانب وطنكم الأم .. قابلوا الرئيس مبارك بكل ما يليق به من توقير كرئيس لدولتنا التى تنتمى إليها الكنيسة الأم وأيضا كقائد يبذل جهدا كبيرا فى قضايا السلام والرخاء ، كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلام بلدنا .. وقد أرسلت إليهم رسالة فى مارس ١٩٩٧ قلت فيها ذلك ، وتليت فى جميع كنائس المهجر فى أوروبا وأمريكا .

قلت فى هذه الرسالة[1] :

« أبنائى الأحباء فى أمريكا : اكليروسًا وشعبًا

سلام لكم من الرب ونعمة ، وبعد :

أحب فى هذا الخطاب أن أعزيكم فى أحبائنا الذين استشهدوا فى أبى قرقاص بأيد أثيمة من الإرهاب ، وصعدوا إلى الرب وهم فى الكنيسة فى جو روحانى ، فنالوا منه أكاليل نغبطهم عليها .

وقد كان جنازهم مهيبًا ، سار فى موكبه المسلمون مع المسيحيين ، والكل ساخط على الإرهاب وعلى الجريمة البشعة التى ارتكبها فى مكان مقدس .

ولا يزال رجال الأمن يبذلون كل جهدهم فى تعقب الجناة ، الذين يختبئون ، منتقلين من مكان إلى آخر : أحيانًا فى المغائر والجبال . وأحيانا أخرى فى منات الفدادين من مزارع القصب أو الذرة ، أو فى أوكار غير معروفة . أو فى بيوت سرعان مايفارقونها إلى غيرها . والدولة تطارد الإرهابيين وتدخل فى صراع معهم .

وقد قل خطرهم كثيرًا جدًا عن ذى قبل . إذ تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم إلى الإعدام أو السجن . كما قُتل البعض فى معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة ، كان من ضحاياها أيضا ضباط وجنود ، وأحيانا بعض اللواءات ..

حقا إن خطرهم قد قلّ . ولكن حركتهم قد تخمد شهورًا ، ثم

---

(١) صورة ضوئية لرسالة قداسة البابا وبخط يده فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ٣) .

يرتكبون حادثًا أو جريمة ، لكي يثبتوا أنهم ما زالوا موجودين ، وأنهم قادرون على العمل . ويدخل أمن الدولة فى حرب جديدة معهم .

إنهم قلة ، ولكنهم مسلحون وخطرون . وقد قتلوا الدكتور رفعت المحجوب رئيس البرلمان (مجلس الشعب) ، كما قتلوا أيضا الدكتور فرج فودة من كبار الكتاب ، وحاولوا اغتيال الدكتور نجيب محفوظ الذى سبق أن حصل على جائزة نوبل . بل أيضا حاولوا اغتيال الدكتور عاطف صدقى حينما كان رئيسا للوزراء ، واللواء حسن الألفى وزير الداخلية ، والأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام . وكل هؤلاء من المسلمين ، مع بعض قيادات الشرطة .

هنا يا أبنائى الأحباء – فى إدانتنا لحوادث الإرهاب – يجب أن نفرق بين إدانة الدولة وإدانة الإرهاب .

فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة . والدولة فى صراع معه . إن كنتم تدينون الإرهاب ، وتقفون ضده بكل الطرق المشروعة ، فلن يلومكم أحد . أما من جهة الدولة ، فمن الظلم أن يقف أحد ضدها ، فى جريمة أبى قرقاص أو فى غيرها من الأحداث ؟

الإرهاب عدو مشترك للدولة وللكنيسة معًا ولكثير من الأبرياء . بل ينبغى أن نقف جميعا إلى جوار الدولة فى صراعها ضد الإرهاب ، الذى لا يوجد فى مصر وحدها ، بل يوجد فى بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع .. وإن حزنكم على شهداء لنا ، لا يعنى أن يهاجم البعض الدولة ، كما وصل إلينا من أخبار ..

أحب أن تكون صورة الأقباط باستمرار فى المستوى الروحى الذى كان لنا فى كل العصور .

لذلك أود فى زيارة الرئيس مبارك إلى أمريكا ، أن تقابلوه بكل مايليق به من توقير : كرئيس لدولتنا مصر ، التى تنتمى إليها الكنيسة الأم ، وأيضا كرجل يبذل جهدًا كبيرًا فى قضايا الشرق الأوسط . كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلامة بلدنا .

تصرفوا إذن بحكمة وروحانية ، وليس بمجرد الانفعال .

وكونوا جميعكم بخير ، وليكن الرب معكم » .

□□□

كل كلمة فى حديث قداسة البابا كانت مليئة بالصدق والمحبة .

وهو – كما كان دائما – قيادة روحية ووطنية فيها جذوة الوطنية المصرية مشتعلة ، كما كانت منذ ستين عاما ويزيد ، حين كان يقود المظاهرات ويهتف بحياة مصر ، ووحدة الصليب والهلال ، وحين كان يشارك فى شبابه فى أعمال الفدائيين لتحرير مصر من الاحتلال البريطانى .

قداسة البابا شنودة .. صاحب الرؤية الحكيمة .. يشع دائما على كل من حوله الحكمة والمحبة .. ولذلك أصبح رجل مصر بمسلميها وأقباطها .

□□□

قداسة البابا : البعض يتساءل أين صوت الكنيسة بالنسبة للحملة المنظمة فى الخارج على مصر بحجة أن الأقباط فيها يعيشون تحت الحصار ، وأن الفتنة الطائفية تشتعل فيها .. ماذا تقول للمصريين فى الخارج مسلمين وأقباطا ؟

قال :

أولا : ما أحب أن يعرفه أبناؤنا فى الخارج أن ما يسمعونه عن التطرف

فى مصر مبالغ فيه ، والواقع مختلف ، التطرف ليس هو الطابع الغالب ، ولكنه محصور فى أقلية .. ثم إن هذا التطرف المحدود لا يجد تعاطفا كبيرًا كما يردد البعض ، بل يقاومه رجال الفكر ، وتقاومه الدولة ، وهو لا يمثل مصر جملة .. فمصر ليس فيها مشكلة طائفية ولن تكون فيها بإذن الله .. واجب أن يعرف الجميع فى كل مكان من المهجر أن التطرف ينحسر فى مصر ولا يشكل خطورة ، وأننا نعيش كما عشنا مئات السنين تربطنا روابط أخوة ومحبة .. أبناء وطن واحد .. هذا الوطن ارتوى بدماء المسلمين والأقباط معا .. وشيدنا كل مافيه بأيدينا معا ، مسلمين وأقباطا ، وهكذا سنبقى دائما .

بعد هذه الكلمات سادت لحظة صمت ، ونظر قداسة البابا فى عينى كأنه يضع خطوطا تحت كلماته لإبرازها ، أو كأنه يعطينى فرصة لأستوعب ما فى الكلمات من وضوح وحسم بحيث لا تدع فرصة لأصحاب الأهواء .

وساد الصمت والطمأنينة فى المكان لحظة وكأننا كنا فى صلاة قصيرة اتصلت فيها الروح بالله الخالق الواحد .. الذى خلق كل البشر ، وخلق كل الأنبياء ، وبعث كل الرسالات ، ولوشاء لجعل الله الناس أمة واحدة .

قلت : وأسمع أسئلة ممن لا يعرفون .. لماذا يسافر البابا كثيرا إلى الخارج ؟

قال : المسألة بسيطة ، لقد أصبح لنا كنائس كثيرة فى المهجر كما سبق أن ذكرت لكم ، وهى تحتاج إلى متابعة ، وأكثر هذه الكنائس قمت بتأسيسها ولابد أن أرعاها وأرعى أبناءنا هناك ، ولنا أديرة .. فى كاليفورنيا لنا دير مساحته ٤٠ فدانا ولنا دير آخر فى ألمانيا قريب من فرانكفورت ، ولنا دير فى ملبورن باستراليا . ولذلك أسمى هذه الرحلات « رحلات رعوية » أى للرعاية ، وعلى سبيل المثال لنا فى أمريكا ٤٠ كنيسة ، ولنا كليتان للاهوت

فى جرسى سيتى ولوس أنجلوس ، وكانت لنا فى كندا كنيسة واحدة ، والآن لنا هناك ٩ كنائس ، وفى استراليا كانت لنا كنيستان فقط . الآن لنا ١٢ .. فى انجلترا كانت لنا واحدة الآن لنا عدد من الكنائس .. ولنا فى بلاد المهجر كهنة وأديرة .. وأهم من ذلك أصبح المصريون المهاجرون كثيرين ولابد أن تكون الجسور بيننا وبينهم مفتوحة ألا يستحق ذلك أن انتقل إلى كل منها ؟ أليس من واجبى أن أطمئن على أولادنا هناك ؟ إن الهدف من تأسيس هذه الكنائس هو الحرص على أولادنا فى المهجر لكيلا يذوبوا فى المجتمعات الغربية ويفقدوا بعد ذلك شخصيتهم وهويتهم نتيجة الانقطاع عن العوامل الروحية والثقافية التى نشأوا فيها كما حدث بالنسبة لعموميات عديدة هاجرت إلى أمريكا ثم تلاشت ، أنا أخشى بعد جيل أو اثنين أن يذوب المصريون أيضا فى المجتمعات التى هاجروا إليها وينسوا أصلهم القديم ويصبح بالنسبة لهم مجرد ذكرى .. أريد أن نظل على صلة بكل مصرى وبزوجته وبكل أبنائه ليبقوا دائما مصريين .. إن خوفى الحقيقى على الجيل الثانى والثالث للمهاجرين، وأفكر فيهم كثيرا، وأرى أنهم يحتاجون منا إلى جهد كبير ، وأشعر بألم كلما رأيت أطفالا وشبابا لأبناء مصريين يعيشون هناك ولا يعرفون شيئا عن لغة بلدهم الأصلى وثقافته وتراثه ويعبرون عن أنفسهم بطلاقة بلغة المهجر بينما يتجمد لسانهم إذا حاولوا التعبير باللغة العربية .. وأشعر أن علينا واجبا كبيرا تجاههم يتحتم أن نقوم به .

□□□

قلت : هى مشكلة فعلا .. هل يمكن أن نجد لها حلولا ممكنة ؟

قال :

أقول لك .. قبل تأسيس كل الكنائس لم نكن نعرف أين يوجد

الأقباط المصريون . الآن عرفناهم وعرفنا اسم وعنوان ووظيفة كل واحد منهم ، ووجود مكان العبادة يجذب المتفرقين منهم ، بل يجذب المسافرين إلى بلاد المهجر للزيارة أو العلاج فيجدون الرعاية من اخوة لهم بينهم رابطة الوطن الواحد .

وقال البابا :

فى كل رحلة تكون السفارة المصرية هى بيتى فى الغربة ، ولا تعرف كم أشعر بالراحة عندما أدخل سفارة أو قنصلية مصر ، أشعر أننى فى أرض مصرية .. فى بيتى ..

قلت : ما هى الأسئلة التى تتحاشى الإجابة عنها فى الخارج

وأجابنى بدهشة :

أتحاشى الإجابة ! ولماذا ؟ ! .. ليست هناك أسئلة لا أجيب عنها .. أنا أعرف أن هناك من ينتظرون رئيس الكنيسة فى مصر ليسألوه عن أحوال مصر ويتعرفوا على الحجم الحقيقى للمشاكل والأحداث التى تصل إلى أسماعهم بغير حجمها الطبيعى ، وستكون فرصة لتوضيح حقائق وصلت إليهم بطريقة غير واقعية وغير صحيحة ، وأعتبر ذلك شيئا مهما بالنسبة لرحلتى ، كما أعتبر لقاءاتى هناك مهمة لأنها تساهم فى تقوية الروابط الشعبية التى يكون لها تأثيرها فيما بعد ، ولابد أن ننتبه لأهمية الزيارات الشعبية فى مختلف المجالات والمستويات ، وكل زيارة لها عائد لمصر بدون شك .

قلت : ومع ذلك فهناك من يصرون على التساؤل عن أهداف سياسية ..

قال :

وابتسامته تتسع : أنا لست رجل سياسة فكيف تكون رحلاتى لها أهداف

سياسية ؟ ومع ذلك يمكن أن تكون لها نتائج سياسية لم تكن هدفا .. مثلا عندما قابلت الرئيس كارتر سنة ١٩٧٧ تطرق الحديث إلى القضية الفلسطينية . وقلت له : ليس من الإنسانية أن يوجد فى العالم شعب بلا وطن وإنكار الحقوق الفلسطينية هو سبب مشاكل الشرق الأوسط ، وسألنى كارتر يومها عما قلته فى أحد كتبى من أن اليهود ليسوا شعب الله المختار فشرحت له هذه النقطة شرحا وافيا وختمتها بقولى : إذا كانوا هم شعب الله المختار فماذا نكون نحن وشعوب العالم الأخرى ؟

طبعا هناك نتائج سياسية ليست ضمن أهدافى .. مثلا عقب المحاضرات يسألنى كثيرون من المصريين وغيرهم عن مجريات الأمور فى الشرق الأوسط والعالم العربى ومصر ، وبعضهم لا يعرف شيئا عن حقيقة الأحداث التى تقع فى لبنان والضفة الغربية ، وبعضهم الآخر ليست لديه فكرة عن حجم الجهود التى تبذل فى مصر للتنمية أو تشجيع الاستثمار أو الإصلاح الاجتماعى .. الخ . وكمصرى أشرح لهم الحقائق .. ليس هناك سؤال اتحاشى الإجابة عنه ..

قلت : وإذن فما هى القضية التى ستركز عليها هذه المرة ؟

وأشار قداسة البابا إلى ملفات أمامه وقال :

إننى أركز على مشاكل أولادنا .. لديهم مشاكل ويريدون لها حلا .. لابد أن نساعدهم .. البعض يفكر أن واجبهم هم أن يساعدونا .. أنا أرى العكس .. أرى أن نساعدهم .. ونساعدهم .. ونربطهم بنا .. بعد ذلك سوف يساعدوننا تلقائيا وعن طيب خاطر وبدون أن نطلب منهم شيئا .. أقول لك الحق : أنا قلق على الأولاد الذين ينشأون فى المهجر ويتجنسون بجنسية أجنبية ويعتادون الكلام بلغتها .. هذه مشكلة كبيرة بالنسبة لنا

جميعا مسلمين ومسيحيين وعلينا – كل واحد فى حدود إمكاناته أن يساعدهم فى رعاية الجيل الجديد فى المهجر قبل أن تستفحل المشكلة ويصبح علاجها ليس فى أيدينا .

قلت : كيف .. ؟

قال بسرعة وهو يعد على أصابعه :

أشياء كثيرة .. أولا أن نعرفهم ونعرف قيمة النابغين منهم ليظلوا على صلة بنا ، فى المؤتمرات التى ندعوهم إليها كل سنتين فى مصر يندر أن نعرف مكانة الشخصيات التى ندعوها ، ومنها شخصيات لها قيمة عالمية ، عندما يلمسون أننا لانعرف قدرهم يدركون أنهم منسيون فى بلدهم .. هل عندنا حصر للمصريين النابغين فى كل مجال وفى كل مكان ؟

ثانيا : لماذا لاندعو البارزين فى كل مجال ليشاركونا أبحاثنا ومناقشاتنا .. الاقتصاديون فى المهجر مع الاقتصاديين المصريين لدراسة مشاكل الاقتصاد المصرى .. ألا يعطينا هذا أفكارا جديدة .. ومناهج جديدة .. وهكذا مع الأطباء وعلماء الفضاء والصناعة .. وكل مجال ..

ثالثا : لماذا لا نعد سجلا عن كبار المصريين المهاجرين فتكون المعلومات عنهم ميسرة ويشعرون أننا نذكرهم .

رابعا : ماذا فعلنا لننقل الإرث الحضارى المصرى إلى أبنائنا فى الخارج كتيبات عن تاريخ مصر ونهضتها المعاصرة .. نماذج من الفن المصرى القديم والحديث ليتبادلوه كهدايا مع أصدقائهم إلخ .

خامسا : لماذا لا نعمل بجدية على تعليم اللغة العربية لأبناء المهاجرين .

سادسا : أمام الأمر الواقع بأن الجيل الثانى من أبنائنا فى المهجر انقطعت صلته باللغة العربية لماذا لا نبدأ حركة ترجمة واسعة لأهم تراثنا الفكرى وأدبنا إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ليتعرفوا علينا ونوجد معهم جسورا من الفهم والتفاهم ؟

سابعا : لماذا لا ننظم رحلات إلى مصر بتسهيلات خاصة لأبناء المصريين ليروا وطن آبائهم ويحبوه كما أحبه آباؤهم . ونعد لهم برنامج زيارات ولقاءات مدروسا لتعريفهم بكل جوانب حياتنا ونجيب عن كل أسئلتهم .. باختصار أنا أرى أن الواقع تطور ، ولابد أن نطور جهودنا وتطوراتنا .. كنا نتكلم عن المهاجرين .. الآن وقد مرت سنوات طويلة على بدء هجرة المصريين وازداد عددهم أصبح هناك أولاد المهاجرين وأحفادهم .. هذا واقع جديد ..

□□□

قلت : فى رحلاتك ما هى الأسئلة التى توجه إليك ؟

قال :

أسئلة كثيرة جدا .. بعضها عام يتعلق بمصر وأحوالها ، وبعضها فى الأمور الدينية ، وبعضها أسئلة شخصية تخص أصحابها وينتظرون منى النصيحة والإرشاد .

وفى بريطانيا دعيت إلى إحدى الجامعات لإلقاء محاضرة عن مصر فى العصر الحديث ، بدأتها من عام ١٩٥٢ مع ثورة يوليو ، وقلت : إن هذه الثورة حققت إنجازات كثيرة لم تكن سهلة ، لم يكن سهلا طرد الاحتلال الانجليزى ، أو تأميم قناة السويس ، أو تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع الظلم عن الطبقات المظلومة ، ولم يكن سهلا أن يصبح التعليم الجامعى مجانا ، وأن تنشأ فى مصر ١٣ جامعة ، ولاكان سهلا إنشاء السد العالى ،

والنهضة البترولية ، وقام أحد الشبان يقول لى : أنت تقول : إن فى مصر ١٣ جامعة ، ولكنها تخرج شبانا عاطلين ، والبطالة منتشرة .. فما فائدة الجامعات ؟

وقلت له : أولا البطالة فى بريطانيا وأمريكا وفرنسا وفى كل دول العالم .. وثانيا أن فكرة الشباب المصرى عن التعليم الجامعى تغيرت ، كانت الفكرة السائدة أن الجامعات لتخريج موظفين ، ومكتب العمل يوظف كل الخريجين سواء كان لهم عمل أو كانوا بلا عمل ، الآن بدأ الخريجون يفكرون فى مشروعات فردية صغيرة وبعضهم حقق نجاحا كبيرا .

وفى سان فرانسسكو كنت مدعوا لإلقاء محاضرة فى الجامعة هناك ، وسألنى صحفى أمريكى : هل عندكم فى مصر حرية دينية ؟ .. وقلت له أمام كل الحاضرين وكان عددهم ٤ آلاف من الأساتذة والطلبة : نعم عندنا حرية دينية .. نحن نعبد الله بحرية ، وكنائسنا مزدحمة لدرجة أن هناك كنائس نقيم فيها الصلاة (القداس) مرتين فى اليوم الواحد .

وسألنى صحفى آخر : هل تستطيعون تحويل مسلم إلى المسيحية ؟

قلت له : وأنت أمريكى تعيش فى أمريكا التى تقولون : إنها بلاد الحرية ، كم مسلم حولتموه إلى المسيحية ؟ فلم يستطع أن يرد .. فقلت له : بدلا من أن تفكر فى أن تحول شخصا من دين إلى دين ليتكم تفكرون فى إنقاذ شبابكم الضائع ، وتقودون شبابكم إلى الحياة الطاهرة أمام ربنا ، أما نحن فى بلادنا فإن ما نفعله هو ما نشعر أنه واجبنا ، وهو أن نعمق فى أبنائنا الإيمان بالله ، ونعلمهم الحياة الروحية الطاهرة .

□□□

قلت : وآخر جولة زرتم فيها سوريا ولبنان وجنوب أفريقيا كيف كانت الرحلة ؟

قال :

كانت هذه هى زيارتى الثانية لسوريا ، فقد زرتها لأول مرة منذ ٢٥ عاما ، وفى زيارتى الأولى دعيت لإلقاء كلمة على منبر مسجد أبو النور حيث تجمع ٢٠ ألفا من المصلين المسلمين ، ودخل معى المسجد ٦ من الآباء البطاركة وعدد من المطارنة فكان موكبا عجيبا .. يدخل أحد المساجد وألقى خطيب المسجد كلمة طيبة تحية لنا ، وكان الخطيب هو الشيخ أحمد كفتارو مفتى سوريا يرحمه الله ، وبدأت حديثى عن وحدانية الله ، واتفاق الأديان فى عبادة إله واحد ، ثم انتقلت إلى علاقتنا ومحبتنا لسوريا ، ثم إلى القضية الفلسطينية وأهمية اتحاد العرب بكل دياناتهم للحصول على حقوقهم كاملة ، وعدم إعطاء الفرصة لأعدائهم لإيجاد ثغرة فى صفوفهم وإيجاد تفرقة بينهم لأى سبب ، وفى هذه المرة قابلت الرئيس حافظ الأسد ، ومعى مجلس كنائس الشرق الأوسط ، وكان حديث الرئيس الأسد صريحا بيّن فيه موقف سوريا الراغب فى السلام والذى لا يقبل إلا السلام العادل الذى يعطى لسوريا حقوقها ، ودعيت إلى معسكر اليرموك للفلسطينيين . وكان اجتماعا عجيبا ، نزلت من السيارة وسط آلاف الفلسطينيين وهتافاتهم . واكتشفت أنهم ضد القيادة الفلسطينية الحالية ، فحرصت على أن تكون كلمتى حول وحدة العرب ووحدة الفلسطينيين وخطورة الانقسام ، والتقيت فى سوريا بكل القيادات الإسلامية والمسيحية .. وكان وزير الأوقاف السورى كريما معى فصحبنى فى معظم جولاتى كما كان فى استقبالى

ووداعى ، وكانت زيارة أحاطنى فيها السوريون مسلمين وأقباطا بمحبة صادقة تأثرت لها جدا .

وفى لبنان التقيت بالرئيس الهراوى وبرئيس الوزراء السيد رفيق الحريرى ورئيس مجلس النواب السيد نبيه برى ، ولقيت ترحيبا كبيرا من الطوائف اللبنانية . وأدليت بتصريحات للصحف والتلفزيون ركزت فيها على وحدة الشعب العربى ، وأن اختلاف الأديان توحد ولا تفرق ، لأن الاختلاف الظاهر بين الأديان يتضمن وحدة أقوى هى الإيمان بإله واحد .. والمؤمنون بالله اخوة .. وركزت أيضا على أهمية أن تقبل إسرائيل العيش فى سلام مع العرب وتتخلى عن أطماعها .

وزرت أيضا بريطانيا ثم أمريكا ، وبعدها زرت جنوب أفريقيا ، ولنا فيها ٧ كنائس ومركز قبطى ، ومطرانية ، وزرت مناطق الزولو ، واستقبلنى ملك الزولو ، وحضر احتفالاتنا بالطبل والرقص والأغانى .. وقالت رئيسة البرلمان : نحن شعب عاطفى ، عندما نتكلم أو نصلى يتحرك كل جسمنا تعبيرا عما فى روحنا .

وزرت زيمبابوى والتقيت بالرئيس روبرت موجابى .

وهكذا ترى أن هذه الزيارات مهمة فى تعميق العلاقات مع مختلف الدول وعلى كل المستويات .

□□□

قلت : هل يرضيك ما يفعله بعض الأقباط المهاجرين من إثارة الرأى العام فى أمريكا وأوربا وتشويه صورة مصر ؟ ..

قال بسرعة وبوضوح :

لا .. لا يرضينى هذا أبدا .. وكل من يسىء إلى مصر ليس منا .. وأنت تعرف : بعض الأقباط المهاجرين خرجوا بمشاكل شخصية .. بعضهم لم يجد عملا كغيرهم ، ولكنهم لم يحتملوا وهربوا .. وبعضهم وجد مضايقات فى العمل أو الأسرة مما يلاقيه غيرهم ، ولكنهم لم يحتملوا .. فعامل عدم الرضا معهم منذ غادروا مصر .. وبعضهم الآخر قضى فى الغربة سنوات طويلة ولم يعد يعرف حقائق ما يجرى فى مصر .. ولذلك يصدّق أى شائعات تصل إليه .. ويقرأ عن حادثة وقعت فتؤثر فيه بأكبر من حجمها الحقيقى .. وبعضهم أيضا خارج على سلطة الكنيسة ومتمرد .. يفهم الحرية فى الغرب على أنها تحرر من كل شىء ؛ لذلك يجب الا نعطى لهذه القلة حجما أكبر من حجمها ..

قلت : ولكن الإعلام الأمريكى يأخذ كلام هؤلاء المرضى والموتورين والمخدوعين على أنه حقيقة ، ويتحدث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ؟ ..

وأجاب :

هذا هو الخطأ .. الإعلام الغربى « يريد جنازة ويشبع فيها لطما » ولا أعرف لماذا ينشرون الأقوال التى تسىء ، ولا ينشرون الحقيقة حين نقولها .. فأنا أقول دائما إن الأقباط والمسلمين فى مصر شعب واحد .. إننى أرفض القول الذى يردده البعض عن الأقلية القبطية .. الأقباط فى مصر ليسوا أقلية ولا ينطبق عليهم تعريف الأقليات .. ليسوا مثل الزنوج فى أمريكا .. أو مثل المسلمين فى ألمانيا .. ولكنهم جزء من نسيج المجتمع .. جزء من تاريخ مصر كله .. وهم يعيشون مع المسلمين فى محبة .. البيت الواحد فيه مسلمون وأقباط .. وكل شارع فيه مسلمون وأقباط .. وكثيرا ما تجد المحل التجارى شركة يمتلكها واحد مسلم وواحد قبطى .. ولكن

الدعايات المسمومة تسعى إلى تشويه الحقيقة وتستغل استغلالا سيئا بعض أحداث العنف التى تقع ويكون ضحيتها أقباطا ومسلمين من المدنيين ورجال الشرطة .. جرائم الإرهاب موجهة إلى الجميع .. أقول ذلك بوضوح .. ومع ذلك أجد التعتيم الإعلامى الغربى على هذه الحقيقة .. ومن حقنا أن نشكو الإعلام الغربى ونطالبه بالحياد .. وبالموضوعية .. وبالإنصاف ..

قلت : لقد سألنى أستاذ بريطانى : إن الحوار بين الأديان هو القضية الأولى فى العالم .. فالعالم يبحث عن نقط التقاء مشتركة بين الأديان ليتفادى الصراع بينها .. فلماذا لا يبدأ الحوار بين الإسلام والمسيحية فى مصر كما هو قائم خارجها ؟ ..

قال :

هذا السؤال أسمعه كثيرا .. وأقول دائما : إننا يجب أن نبدأ بتحديد موضوع الحوار وأهدافه .. هل سيكون الحوار فى العقائد واللاهوت ؟ .. هذا لن يفيد .. هل سيكون بهدف تنازل كل دين عن بعض معتقداته والوصول إلى دين واحد فى الوسط يجمع بين الأديان ؟ .. هذا أيضا غير ممكن .. إذن يبقى أن يكون الحوار مقصورا على موضوع اتفاق الأديان على مبادئ واحدة فى الأخلاق ، وفى تنظيم الحياة الاجتماعية .. هذا هو الممكن والمفيد .. الحوار حول كيفية تعاون الناس من كافة الأديان دون أن يدخلوا فى المسائل العقائدية واللاهوتية ..

وأقول أيضا لكل من يسألنى : إن حوار الأديان فى أمريكا وأوربا يبحث كيف يتعاون المختلفون فى الأديان ، وهذا الهدف متحقق عندنا

فى مصر .. فنحن شعب واحد .. نعيش فى تعاون .. والتفاهم بيننا كامل فى كافة المجالات .. ولا نحتاج إلى هذا الحوار ..

□□□

وأسأل البابا شنودة :

وماذا تقول لأبنائك فى الخارج :

قال :

أقول لهم أنتم مصريون لحما ودما ومصيرا .. ولمصر فضل عليكم .. مصر هى أمكم ..لا تسيئوا إلى مصر .. لا تخطئوا فى حقها .. عبروا عن حبكم لها بخدمتها ..قدموا لها يدا .. كونوا معها ولا تكونوا عليها ..إن كان فى قلوب بعضكم ذكريات ألم قديم انسوا هذه المشاعر ..وتذكروا شيئا واحدا .. أن مصر أمكم وأم آبائكم وأجدادكم ..وأم أبنائكم وأحفادكم ..وذراعيها مفتوحة لكم دائما .. افتحوا قلوبكم لها .. وأعطوها قلوبكم وفكركم وكل ما تملكون .. وهذا قليل .. !

□□□